سواطع الإلهام

في تفسير كلام الملك العلام

العلامة المحقق المدقق

الشيخ أبو الفيض الفيضي الناگوري

(٩٥٤-١٠٠٤ هـ)

وبذيله

تفسير القرآن الكريم

للعلامة المحقق السيد عبد الله شبر

المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ

تقديم
العلامة الدكتور
السيد محمد بحر العلوم

صححه وراجعه وقدم له
الدكتور السيد مرتضى الشيرازي
استاذ علوم القرآن والحديث في جامعة طهران

الجزء الأول

الطبعة الاولى

١٩٩٦م ـ ١٤١٧هـ

اسم الكتاب .... سواطع الإلهام / ج١

اسم المؤلف .... الشيخ ابو الفيض الفيضي الناكوري

المحقق .... د. سيد مرتضى آية الله زاده شيرازي

الفلم والألواح الحساسة .... تيزهوش

المطبعة .... ياران

الكمية .... ١٠٠٠ نسخة

السعر .... ١٠٠٠ تومان

الناشر .... المحقق





التفسير والمفسرون

عند الشيعة الإمامية

تقديم

د. السيد محمد بحر العلوم



مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلائق أجمعين محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله الهداة المهديين، وعلى أصحابه المنتجبين.

وبعد:

قد يبدو لأول وهلة أن عنوان الحديث (لمحة موجزة عن التفسير والمفسرين عند الشيعة) يدل على محاولة تضييق أفق البحث، وتحديد لمجالاته الواسعة، كما لو كان مطلقاً فسيح الأبعاد، خاصة وأن مثل هذه البحوث ـ نظراً لاهميتها ـ لا زالت نزرة بالنسبة لغيرها من المواضيع التأريخية أو الأدبية أو الفكرية أو سائر العلوم المختلفة.

غير أن الداعي الأساس الذي دفعني لكتابة هذا البحث ـ كمقدمة لتفسير قد يكون جديد من نوعه ألفه عالم جليل من علماء الإمامية في القرن العاشر الهجري، وميّزه بفنية خاصة من حيث خلو كلمات التفسير من الحروف المنقطة. ولهذا السبب التزمت أن أدور في فلك الفكر الإمامي فيما يتعلّق بهذا الموضوع خاصة ـ ما يشاع بأن الإمامية لم تسهم فكرياً في هذا الجانب، وتوجهوا لعلوم أخرى، وهي مقولة لم يثبت لها أساس، إنما دسها بعض مَن لم يخش الله سبحانه في توجيه القول الجزاف ظلماً.

ومُحاولتي هذه أن أعطي صورة موجزة عن أعمال أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في التفسير، وما تركوه لنا من تراث قيم لعبت فيه الأيام، ففُقد جلّه، ورغم ذلك طبع بعضه، وأثبت اهميته.

ارجو لمحاولتي التوفيق ومنه العون.

لندن في: ١ جمادي الاخر ١٤١٧ هـ
١٤ تشرين الاول ١٩٩٦

محمد بحر العلوم





الفصل الأول

التفسير عند الإمامية



(١)

معنى التفسير ـ الحاجة إليه ـ أقسامه

حتى يكون لهذا المصطلح (التفسير) شأن كبير في بحثنا فلابد لنا أن نعرف مدلوله اللغوي والاصطلاحي، والمقصود منه، وتطور مراحله، وأقسامه الرئيسة، ومصادره ـ ولو بصورة موجزة ـ لنكوّن فكرة عامة تمكننا من الانتقال إلى الفصل الآخر الذي يتناول المفسّرين وتراثهم المطبوع خاصة كل ذلك في حدود الاختصار.

أولاً ـ التفسير لغة واصطلاحاً:

١ ـ لغة:

الفَسْرُ: البيان، فَسَّر الشيء يفسره ـ بفتح السين، وكسره، وضمه ـ: أبانه. والتفسير مثله، بمعنى كشف المراد عن اللفظ المشكل[١].

ومن هذا نفهم أن التفسير في مدلوله اللغوي هو البيان والكشف، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، حيث قوله تعالى: ﴿ولا يأتوك بمثل إلا جئناك بالحق

---

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ـ لسان العرب: مادة (فسر) أوفست قم ـ ايران ١٤٠٥ هـ.

وأحسن تفسيرا﴾[1].

وقيل التفسير البيان، والتأويل هو المرجع والمصير[2].

وهناك من يرى التأويل مرادفا للتفسير، وليس بينهما ثمة اختلاف، وأنهما بمعنى واحد[3].

ومن يرى التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[4].

ولدى البعض أن التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل[5].

[illegible] في الفرق بين التفسير والتأويل[6] [illegible] معنى واحد.

[illegible]

---

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]
(4) [illegible]
(5) [illegible] ٢/ ١٧٣ طبع بيروت المكتبة [illegible]
(6) للاطلاع على الفروق بين التفسير والتأويل يراجع محمد حسين الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ٣/ ٤٤ ـ ٤٩ طبع بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٨٣م والسيوطي ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤، طبع بيروت المكتبة الثقافية ١٩٧٣
(7) يراجع في هذا الصدد كتاب محمد باقر الحكيم ـ علوم القرآن ٧٤ ـ ٧٩ طبع طهران مطبعة الاتحاد ١٤٠٣ هـ

المعرفة.

أما المتشابه من الآيات فلا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم[1].

ومن أجل أن نوفق بين هذه الآراء في المصطلحين ـ التفسير والتأويل ـ نرى:

آ ـ أنهما كانا بمعنى واحد حتى نهاية القرن الثاني الهجري، عندما كان التفسير يقتصر على التفسير المأثور، ويستند الى اقتران الآية بأسباب نزولها، وما أثر عن النبي ﷺ في شرحها وتعليلها. أما بعد تلك الفترة لم يعد التفسير رجوعاً الى الأول، وإنما بدأ ينأى ويتشعب الى اتجاهات ومناحي اجتمعت رغم تباينها على الابتعاد عن الأول[2].

ب ـ بعد انتهاء عهد الصحابة والتابعين اضطر المفسّرون الى اعتماد معلومات أخرى تساعدهم على ممارسة عملية التفسير. وأصبح ـ تبعاً لتطوّر الزمن ـ أكثر حاجة لاكتشاف غرائب القرآن، كما أن فهمنا لهذا المصدر الأوّل لكل العلوم والمعرفة لا يقف عند حدود الألفاظ ومفرداتها وإنما تتعدّى الى الجمل ومعانيها.

---

(1) عرّف الشيخ أبو جعفر الطوسي ـ المحكم والمتشابه ـ في مقدمة تفسيره (التبيان في تفسير القرآن ١: ٩ ـ ١٠ طبع النجف مكتبة الأمين ـ [illegible]).
المحكم: ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم إليه، سواء كان اللفظ لغوياً أو عرفياً، ولا يحتاج إلى ضرب من التأويل كما في قوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة ـ ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ [الانعام ـ ١٥١]، وغير ذلك.

والمتشابه: ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج الى دليل، وذلك ما كان محتملاً لأمور كثيرة، أو أمرين، ولا يجوز أن يكون الجميع مراداً، فإنه من باب المتشابه. وانما سمّي متشابهاً لاشتباه المراد منه بما ليس بمراده، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ [الزمر ـ ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر ـ ٦٧]. ونظائر ذلك. ولزيادة الاطلاع يراجع الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٣٢ ـ ٤٤ طبع بيروت مؤسسة الاعلمي.

(2) د. حسن عاصي ـ التفسير القرآني، واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا: ١٣ / طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٣م.

٢ ـ اصطلاحاً:

ونجد لدى علماء التفسير القدامى والمتأخرين عدّة تعاريف للتفسير، تدور بين السعة والضيق. يذهب البعض إلى شمولية كل علوم القرآن. بينما يقصره البعض الآخر على إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز[١].

والمرحوم السيد الطباطبائي يضع تعريفاً للتفسير نصه: «هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها»[٢].

وهذا التعريف ـ على اختصاره ـ يحقق الآتي:

١ ـ أنه جمع مقاصد أغلب التعاريف السابقة للتفسير ـ والتي يدور محورها حول معنى التفسير ـ دون التعرّض الى المفسّر، وشروطه في التفسير، والقراءات، وغير ذلك[٣].

٢ ـ أنه يحصّل معنى التفسير اللغوي الذي هو الإبانة والكشف، سواء أكان من تفسير الألفاظ، أو تفسير معنى اللفظ[٤].

---

(١) ابو القاسم الخوئي ـ البيان في تفسير القرآن ٣٩٧ طبع بيروت مؤسسة الاعلمي ١٣٩٤ ص

(٢) الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ١ / ٤، طبع بيروت مؤسسة الاعلمي

(٣) عرّف الزركشي التفسير بأنه «علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها

وزاد قوم، علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها» راجع بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي المتوفّى ٧٩٤ هـ ـ البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٤٨ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / طبع القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٥٧م، ولزيادة الاطلاع يراجع السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن، ٢ / ١٧٤، وقد أورد عدة تعاريف لبعض المفسّرين المعروفين.

(٤) يراجع ابن منظور ـ لسان العرب، مادة (فسّر، وأوّل).

ثانياً ـ الحاجة الى التفسير:

القرآن الكريم كتاب الله المنزل الى عباده، يتضمن أحكامهم وكل أمورهم التشريعية الى يوم القيامة، وهو المصدر الأوّل والأساس لذلك، وله دلالات وأهداف ومقاصد يراد تبيانها، وإيضاح ما خفي منها.

ونظراً لحاجة الناس الى الإفصاح عن تلكم الأهداف والمقاصد نشأت الحاجة الى علم التفسير، وأصبحت أهميته كبيرة، ومعرفته ضرورية.

وقد جاء عن النبي ﷺ قوله «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»[1]. ومن هذا الحديث نستفيد أن الكتاب الكريم حجة يلزم العمل به.

ولابد من كشف المراد عن اللفظ المشكل في بعض المواضع، لأنه «ليس بين آيات القرآن ـ وهي بضع الآف آية ـ آية واحدة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها، بحيث يتحيّر الذهن في فهم معناها، وكيف وهو أفصح الكلام، ومن شرط الفصاحة خلو الكلام عن الإغلاق والتعقيد، حتى أن الآيات المعدودة من متشابه القرآن ـ كالآيات المنسوخة وغيرها ـ في غاية الوضوح من جهة المفهوم، وإنما التشابه في المراد منها وهو ظاهر. وإنما الاختلاف كل الاختلاف في المصداق الذي تنطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفردها ومركبها، وفي المدلول التصوري والتصديقي»[2].

ولهذا فإن ادراكنا لمراد القرآن هو في حدود الظواهر فقط، أما على وجه القطع فلا يعلم بالمراد بل يستنبط بأمارات ودلائل.

والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكّر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه

---

(١) رواه ابو جعفر الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٥ (مقدمة المؤلف).

(٢) الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٩ (مقدمة المؤلف).

بالتنصيص على المراد في جميع آياته[1].

وروي عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذا الشعر هذا»[2]. ولهذا قيل: «إن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن»[3].

ولم تكن هذه الحاجة وليدة وقت محدد من الأزمان، إنما نراها تمتد الى زمن قديم، نظراً لاختلاف مستويات الإنسان الذهنية، كما يقررها ابن قتيبة[4]: «بأن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل أن بعضها يفضل في ذلك على بعض»[5].

وأكد هذه الحقيقة من بعده العلامة ابن خلدون[6] حيث قال: إن في القرآن مواضع محتاجة الى بيان. «وكان النبي ﷺ يبين المجمل، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرّفه أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات، ومقتضى الحال منها منقولاً عنه. ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ولم يزل متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً، ودونت الكتب...»[7].

وتلك الأمور وغيرها من مواضع الحاجة الى الإبانة، وقد أحوجت منذ أول العهد الإسلامي الى بيان القرآن وتفسيره، ولا شك أن هذه الحاجة للتفسير سوف مستمرة لدى الأمة التي تستقي تشريعها من الكتاب الكريم، المصدر الأول للمسلمين الى آخر عمر الدنيا.

---

(1) السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٧٤

(2) السيوطي ـ المصدر المشار إليه: ٢ / ١٧٥.

(3) السيوطي ـ المصدر السابق: ٢ / ١٧٥.

(4) عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦ هـ.

(5) امين الخولي ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة (فسر) عن ابن قتيبة في رسالته المسائل والاجوبة: ٨.

(6) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، المتوفى عام ٨٠٨ هـ.

(7) ابن خلدون ـ المقدمة: ١ / ٤٣٩ ـ طبع القاهرة مطبعة مصطفى محمد بدون تاريخ

ثالثاً ـ أقسام التفسير:

لا شك في تنوع التفسير، وتعدد مذاهبه، واختلاف مدارسه، والتباين في كثير من الأحيان بين اهتماماته واتجاهاته، فهناك:

١ ـ تفسير يهتم بالجانب اللفظي والأدبي والبلاغي من النص القرآني.

٢ ـ تفسير يهتم بالمحتوى والمعنى والمضمون.

٣ ـ تفسير يرتكز على الحديث الشريف، أو يفسّر النص القرآني بالمأثور عن المعصوم (ع)، أو بالمأثور عن الصحابة والتابعين.

٤ ـ تفسير يعتمد العقل كأداة من أدوات التفسير، وفهم كتاب الله سبحانه.

٥ ـ تفسير متحيّز يتخذ مواقف مذهبية مسبقة، يحاول أن يطبق النص القرآني على أساسها.

٦ ـ تفسير غير متحيّز يحاول أن يستنطق القرآن نفسه، ويطبق الرأي على القرآن، لا القرآن على الرأي.

٧ ـ تفسير تجزيئي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم، آية آية وفقا لتدوين الآيات في المصحف الشريف.

٨ ـ تفسير توحيدي، أو موضوعي، يتبنى الدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية[1].

وإذا كانت مصادر الدراسات القرآنية ذهبت الى هذه الاتجاهات المتعدّدة في

---

(١) الشهيد محمد باقر الصدر ـ المدرسة الاسلامية: ٨ ـ ١٢ / طبع بيروت دار المعارف ١٩٨٠م.

أنواع التفسير، فإن مردّ ذلك يعود الى أن الشخص الذي يفسّر نصاً يلوّن هذا النص ـ ولا سيما النص الأدبي ـ بتفسيره له وفهمه إياه.

ولذا فإن المتفهّم للعبارة هو الذي يحدّد بشخصيته المستوى الفكري لها، وهو الذي يعين الأفق العقلي الذي يمتد إليه معناه ومرماه، يفعل ذلك وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه العقلي، لأنه لا يستطيع أن يعدو ذلك من شخصيته، ولا يمكنه مجاوزته أبداً.

وعلى هذا الأصل وجدنا لآثار شخصية المتصدّين لتفسير القرآن، ما طبع تفسيرهم ـ في كل عهد وعصر، وعلى أي طريقة ومنهج، سواءً أكان تفسيرهم له نقلياً مروياً، أم كان عقلياً اجتهادياً ـ[1].

ويمكن ـ من مجموع ما تقدم في أقسام التفسير عند الإمامية ـ أن نستخلص مدرستين لتوجه التفسير عندهم قديماً وحديثاً، نعرضهما بإيجاز.

أ ـ المدرسة القديمة:

إن مفسري الإمامية من عهد الغيبة الكبرى للحجة بن الحسن عليه السلام، وبعد أن كان الناس يستقون معرفتهم بالتفسير من الإمام المعصوم مباشرة أو من الوسائط الذين كان الإمام عليه السلام يعهد لهم بإيصال أجوبة الاستفسارات التفسيرية وغيرها، كانوا يحرصون على جانبين هامين في إطار عملية التفسير، هما:

١ ـ التفسير بالمأثور الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة المعصومين عليهم السلام. قال الشيخ أبو جعفر الطوسي ـ وهو من أبرز مشاهير وقدامى مفسري الإمامية ـ:

---

(١) أمين الخولي ـ دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٣٦٢ مادة (فسر).

«ولا يجوز تفسير القرآن إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ، وعن الائمة عليهم السلام الذي قولهم حجة كقول النبي ﷺ».

ومن هذا المنطلق يرى أن معاني القرآن على أربعة أقسام، ولابد من فهمها إما بالنص الصريح، أو الأثر الصحيح، ولا يجوز تفسيرها بالاجتهاد والاستحسان، وهي بإيجاز:

أحدها: ما اختص به الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، ولا تعاطي معرفته، مثل قوله تعالى: ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾[1] وغيرها، فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ.

ثانيها: ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناها، مثل قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾[2]

ثالثها: ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً، مثل قوله تعالى ﴿اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾[4]، فإن تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتها، وتفصيل مناسك الحج وشروطه، لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي ﷺ، ووحي من جهة الله تعالى، فتكلف القول في ذلك ممنوع منه.

رابعها: ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما، ويمكن أن يكون كل واحد منها مراداً، فإنه لا ينبغي أن يقدّم أحد به، فيقول: إن مراد الله فيه بعض ما يحتمل ـ إلا بقول نبي أو معصوم ـ بل ينبغي أن يقول: إن الظاهر يحتمل لأمور، وكل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل، والله أعلم بما أراد.

ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين أو ما زاد عليها، ودلّ الدليل

---

(1) سورة لقمان ـ آية: ٣٤.

(2) سورة الانعام ـ آية: ١٥١.

(3) سورة البقرة ـ آية: ٤٣.

(4) سورة آل عمران ـ آية: ٩٧.

عليه ـ على أنه لا يجوز أن يريد إلا وجهاً واحداً ـ جاز له أن يقال إنه المراد.

ولا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً، أو يقلّد أحداً من المفسّرين إلا أن يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الإجماع، لأن من المفسّرين مَن حُمدت طرائقه، ومُدحت مذاهبه كابن عباس، ومنهم مَن ذُمت مذاهبه كأبي صالح، والسدي وغيرهما. هذا في الطبقة الأولى.

وأما المتأخّرون فكل واحد منهم نصر مذهبه، وتأوّل على ما يطابق أصله. ولا يجوز أحد أن يقلد أحداً منهم، بل ينبغي أن يرجع الى الأدلة الصحيحة: إما العقلية، أو الشرعية، من إجماع عليه، أو نقل متواتر به عمن يجب اتباع قوله[1].

وبهذا المعنى أخذ الشيخ أبو علي الطبرسي ـ أحد أبرز مفسّري الإمامية ـ فقال:

واعلم أن الخبر قد صح عن النبي ﷺ وعن الأئمة القائمين مقامه عليهم السلام أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح، والنص الصريح، وقال النبي ﷺ: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط». فبيّن أن الكتاب حجة، ومعروض عليه.

وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى؟! فهذا وأمثاله يدل على أن الخبر متروك الظاهر، فيكون معناه ـ إن صح ـ أن مَن حمل القرآن على رأيه، ولم يعمل بشواهد الفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه».

وروي عن عبدالله بن عباس أنه قسّم وجوه التفسير على أربعة أقسام:

---

(١) الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٤ ـ ٧.

آ ـ «تفسير لا يعذر أحد بجهالته»، وهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن، وجهل دلائل التوحيد.

ب ـ «وتفسير تعرفه العرب بكلامها» وهو حقائق اللغة، وموضوع كلامهم.

ج ـ «وتفسير يعلمه العلماء» وهو تأويل المتشابه، وفروع الكلام.

د ـ «وتفسير لا يعرفه إلا الله عزوجل» فهو ما يجري مجرى الغيوب، وقيام الساعة[1].

٢ ـ التفسير الترتيبي وهو الذي يتقيّد المفسّر بتفسير آية آية، وسورة سورة كما هو مرتب في المصحف الكريم، ولا يتجاوز هذه الرتابة التفسيرية. ورغم تعدّد المواضيع في السورة الواحدة، وتكرر بعضها في عدة سور غير أنها متناسقة مع تسلسل التوجه الذي جمع القرآن عليه.

ب ـ المدرسة الحديثة:

ظهرت توجهات متعدّدة للتفسير في هذا القرن، نظراً لتوسع آفاق المعرفة الفكرية واستجلاء الكثير من العلوم التي لها واقع اكتشافها في هذا العصر. وقد دعت بعض المصادر التفسيرية الحديثة الى منهج جديد في التفسير، يجمع بين المأثور ـ الذي نعتمده عن طريق المعصوم، أو المستند الى السلف، أو الاجتهاد الذي يصل إليه المفسّر الجامع لشرائط الاجتهاد ـ ومكنة الاستفادة من الأدلة الشرعية، لا الرأي المستند الى الهوى والاستحسان[2].

---

(١) الفضل بن الحسن الطبرسي ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: ١ / ١٣ / طبع بيروت مطبعة العرفان صيدا.

(٢) للاطلاع على التقاسيم التفسيرية للمدرسة الحديثة يراجع: الشهيد الصدر ـ المدرسة القرآنية: ٨ ـ ١٥، ومحمد باقر الحكيم ـ علوم القرآن: ٦٩ ـ ٧٢.

وفي هذا الاتجاه نرى الشهيد الصدر يعرض تقسيمين للتفسير، وهما:

الأول ـ التفسير التجزيئي

ويراد به: «المنهج الذي يتناول المفسّر ضمن إطار القرآن الكريم، آية فآية، وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف»[1].

ومن أجل توضيح هذا الاتجاه التجزيئي للتفسير القرآني يضيف الشهيد الصدر بأن: «التفسير في إطار هذا المنهج يسير مع المصحف، ويفسّر قطعاته تدريجاً بما يؤمّن له أدوات ووسائل للتفسير من الظهور، أو المأثور من الأحاديث، أو بلحاظ الآيات الأُخرى التي تشترك مع تلك الآية في مصطلح أو مفهوم، بالقدر الذي يلقي ضوءاً على مدلول القطعة القرآنية التي يراد تفسيرها مع أخذ السياق الذي وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار من كل تلك الحالات»[2].

الثاني ـ التفسير التوحيدي أو الموضوعي[3]

ويراد به: «القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية، أو الاجتماعية، أو الكونية، فيبيّن ويبحث ويدرس»[4].

ويستهدف التفسير التوحيدي أو الموضوعي من القيام بهذه الدراسات، تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتالي للرسالة الإسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون.

---

(١) الصدر ـ المصدر السابق: ٩

(٢) الصدر ـ المصدر السابق: ٩

(٣) يوضح الشهيد الصدر المقصود بالتوحيدي، فيقول باعتبار انه يوحّد بين التجربة البشرية، وبين القرآن الكريم، لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن. كما ان المقصود بالموضوعي، أي انه يبدأ من الموضوع من الواقع الخارجي من الشيء، ويعود إلى القرآن الكريم، باعتبار انه يبدأ من الموضوع الخارجي وينتهي الى القرآن الكريم. راجع المدرسة القرآنية: ٢٨.

(٤) الصدر ـ المدرسة القرآنية: ١٢.

ولا شك أن هذين الاتجاهين قد يلتقيان في بعض الأحيان، وأن الفصل بينهما ليس حدّياً على مستوى الواقع العملي، والممارسة التأريخية لعملية التفسير. ذلك لأن الاتجاه الموضوعي بحاجة طبعاً الى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يراد بها التعامل معها ضمن إطار الموضوع الذي يتبناه. كما أن الاتجاه التجزيئي قد يعثر في أثناء الطريق بحقيقة قرآنية من حقائق الحياة الأخرى.

ومع هذا كله، فإن فوارقاً أساسية تبدو بين القسمين، ويمكن إيجازها بالآتي:

١ ـ إن المفسّر التجزيئي دوره في التفسير ـ على الأغلب ـ سلبي، فهو يبدأ أولاً بتناول النص القرآني المحدد آية ـ مثلاً ـ أو مقطعاً قرآنياً دون أي افتراضات أو طروحات مسبقة، ويحاول أن يحدّد المدلول القرآني على ضوء ما يسعفه به اللفظ، مع ما يتاح له من القرائن المتصلة أو المنفصلة.

وتكون العملية هذه في طابعها العام عملية تفسير نص معين. وكأن دور النص فيها دور المتحدّث، ودور المفسّر هو الإصغاء والتفهّم. وهذا ما يسمّى بـ «الدور السلبي». والقرآن ـ في هذه الحالة ـ معطي، وبقدر ما يفهم المفسّر من مدلول اللفظ يسجل في تفسيره.

أما المفسّر الموضوعي: فإنه لا يبدأ عمله من النص بل من واقع الحياة، فهو يركّز نظره في موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التأريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثم يأخذ النصّ القرآني، لا ليتّخذ من نفسه بالنسبة الى النص دور المستمع والمسجّل فحسب، بل يكون دوره دور المحاور مع القرآن، ليكتشف من خلال ذلك موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح، والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات.

ويؤكد هذه الحقيقة الإمام علي عليه السلام، وهو يتحدّث عن القرآن الكريم فيقول:

«ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أُخبركم عنه، ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونُظم ما بينكم»[1].

٢ ـ التفسير الموضوعي يتجاوز التفسير التجزيئي خطوة. ذلك أن التفسير التجزيئي يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، بينما التفسير الموضوعي يطمح الى أكثر من ذلك. يتطلع الى الحصول على أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية. ويحاول أن يصل الى نظرية قرآنية ـ من خلال تلك المدلولات التفصيلية في النبوة، والإمامة، أو سنن التأريخ، أو مذهب اقتصادي، أو أي موضوع آخر من المواضيع العقائدية، أو التأريخية، أو الكونية، أو الاقتصادية، أو غير ذلك. مما يكون من الواقع الخارجي من الشيء، ويعود الى القرآن الكريم، وهو ما يقصد به بالتفسير الموضوعي، وهو بهذا الأسلوب يكون الموضوعي أوسع أفقاً، وأرحب وأكثر عطاءً، وقادر على التجدد باستمرار، وعلى التطور والابداع باستمرار على أساس أن التجربة البشرية تغني هذا التفسير بما تقدّمه من مواد. وهذا هو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسية للإسلام، وللقرآن تجاه موضوعات الحياة المختلفة[2].

إن هذا التقسيم ـ التجزيئي والموضوعي ـ حين نشاهدها من بين التقاسيم العديدة للتفسير، سواءً القديمة منها أو الحديثة، لتميزهما بأمرين هامين:

الأول: أنه لم يخرج عن نطاق تحكم التفاسير المبتنية على المأثور أو الاجتهاد، وحاوي لكل مقوّماتها وأكثر من ناحية الاستيعاب والشمول لقدرة الطاقة المتنوعة التي تكمن في القرآن الكريم، ومن هنا نلحظ الدافع الأساس الذي تؤكد عليه أحاديث أئمة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الاستفادة من القرآن الكريم، لأن فيه علم ما كان، وعلم ما يأتي، كما وفيه عطاء لا ينفذ.

---

(١) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح: ٢٢٣ طبع بيروت ١٩٦٧م.

(٢) الصدر ـ المدرسة الاسلامية، ٨ ـ ٣٣ تلخيص.

الثاني: أن المراد من التفسير هو كشف وبيان ما في القرآن، وخاصة في مقام نتائج التفسير الموضوعي، المرتبطة دائماً بنتائج التجربة البشرية، لأنها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية في أي موضوع من مواضيع الحياة الزاخرة بالإبداع، وهذه حاجة العصر.

رابعاً ـ موقف الشريعة من التفسير بالرأي:

الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان[1]، وبهذا المعنى، القول غير المبني على الأثر الصحيح، و[illegible] الصريح[2] والذي يقوم على الاجتهاد والظنون، والترجيح الشخصي، لم [illegible] الله سبحانه من افترائه، فإن كتاب الله لا يفسر بالجهل والهوى.

قال الشيخ الطوسي:

«... على أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ، وعن الأئمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ، وأن القول فيه بالرأي لا يجوز»[3].

وأوضح السيد الطباطبائي المراد بالمنع من التفسير بالرأي، فيقول:

«إن المنهي عنه إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة إنما هو الكتاب أو السنة»[4].

---

(1) الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٧٦.

(2) الطبرسي ـ مجمع البيان: ١ / ١٣ ومحمد بن مرتضى بن محسن المعروف بالفيض الكاشاني ـ تفسير الصافي: ١ / ٣٥ طبع بيروت مؤسسة الأعلمي ١٣٩٩هـ.

(3) الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٤.

(4) الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٧٧.

ومن أجل أن لا يبقى المفسّر في حيرة في ممارسته للتفسير، حدّد الشيخ الطوسي خمس نقاط رئيسة لسالك هذا الطريق، يمكن أن تكون خطاً بيانياً في مسار التفسير، وهي بإيجاز:

١ ـ آيات لا يمكن الخوض في تفسيرها إلا تفسير من الكتاب الكريم، لأنها من مختصّاته، ولا يجوز لأحد الخوض فيها.

٢ ـ آيات مجملة غير ظاهرة المراد مفصّلاً، فلا يمكن تقليد أحد المفسّرين بها إلا إذا كان هناك بيان من النبي ﷺ.

٣ ـ آيات لفظها مشترك بين معنيين أو أكثر، فلابد من تعيين المراد ببيان من النبي ﷺ أو المعصوم عليه السلام.

٤ ـ آيات تعتمد على توضيح المعنى اللغوي، فلابد من الرجوع فيها إلى العالم المتمرّس باللغة.

٥ ـ أن الرواية المسندة إلى طريق الآحاد إذا كان مما طريقه العلم فلا يمكن أن تكون مفسّرة للكتاب، لأنها غير موجبة للقطع، وإن وصل إلى الواقع، لأن سند ذلك الحدس والتخمين[1].

وبما تقدّم يتضح السبب في رفض الأخذ بالرأي، لأن اختلاف المفسّرين، وتعداد مذاهبهم، وعدم تحرّج البعض منهم في توظيف آية أو أكثر لمصالحهم وأغراضهم، وخاصة ما حدث في العهدين الأموي والعباسي من دسّ فظيع، وتطاول على تفسير الآيات، ووضع الأحاديث لصالح الحاكم، أو لحاجة في تلكم النفوس المريضة في محاولاتها لتشويه الحقائق، كما أن نزعات خاصة حاول أصحابها دعمها من القرآن، فسّروا آيات وروايات تمحّلوا الأمر فيها بغية غطاء قرآني على أساس أن فيه كل إشارة ودلالة[2].

---

(١) لزيادة الاطلاع على عرض الشيخ الطوسي في هذا الصدد يراجع (تفسير التبيان، ١ / ٥ ـ ٧).

(٢) للاطلاع على نماذج من هذه التفاسير الكيفية يراجع (الحكيم ـ علوم القرآن: ٢١ ـ ٥٤).

(٢)

مصادر التفسير

من الطبيعي أن تكون لكل مادة علمية وفكرية مصادر ومعدات تقوم عليها أسس أي علم من العلوم. وحين نكون في صدد بحث علم التفسير لابد أن نكون له معدات وقواعد توحده وتميزه عن سائر العلوم.

ولما كان القرآن الكريم، بوصفه كلام الله سبحانه، أنزله لعباده مصدراً حسنا لتشريعاتهم، وما تقتضيه حاجة المجتمع من أجل قيام العدل فيه. وحفظ حقوق أفراده، وبناء وجوده، وقد أشار الى ذلك وسبحانه وتعالى حيث قال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾[1]. ومن هنا منع علماء الإمامية أن يكون الاعتماد في تفسيره على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنه حجة عن طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن اتباع الظن وحرمة إسناد شيء إلى غير الله بغير إذنه[2].

ومن هذا المنطلق فلابد للمفسّرين من اعتماد ما يقوّمهم لهذه المهمة الكبيرة، وتلكم المقوّمات الرئيسة للمفسّر هي بإيجاز:

---

(١) سورة الانعام ـ آية: ٥٩.

(٢) الخوئي ـ البيان في تفسير القرآن: ٢٩٧.

:

أولاً ـ القرآن الكريم:

قالوا: إن آيات القرآن تفسّر بعضها بعضاً[1]. فمطلقها يوضّح مقيدها، ومتشابهاتها تدلّ على محكماتها، سواء أكان ذلك في تفسير اللفظ أو معنى اللفظ، حتى ذكر أن كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن[2]. وسار من بعده أئمة الهدى من آل بيت المصطفى عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

وعلى سبيل المثال ما ذكر أن امرأة ولدت لستة أشهر فرفع أمرها الى الخليفة عمر بن الخطاب فهمّ برجمها على أساس أنها زانية. فبلغ ذلك الإمام علي عليه السلام فقال ليس عليها رجم فبلغ عمر قول الإمام فاستفسر عن ذلك. فقال له الإمام: إن الله تعالى قال في كتابه: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾[3]. وفي سورة أخرى يقول عزّ من قائل ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[4]. فتكون النتيجة أن مدة حمله ستة أشهر، ومدة رضاعه حولان، فذلك ثلاثون شهراً[5] ومن هذه الرواية نرى أن الإمام أسس حكمه بعدم الرجم على فهم لمعاني ألفاظ القرآن، حيث بنى حكم الآية الأولى على الثانية

إن رسول الله ﷺ وضع هذا المنهج لتفسير القرآن الذي يعتمد القرآن الكريم أساساً في عملية التفسير. وسار على ضوئه تلميذه الأول الإمام علي عليه السلام وأصحابه ممن تحمّلوا مسؤولية تفسير القرآن الكريم، ثم اعتبر منهجاً عاماً للمفسّرين

---

(١) الفيض الكاشاني ـ تفسير الصافي، ١ / ٧٥

(٢) السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن، ٢ / ١٧٦

(٣) سورة البقرة ـ آية ٢٣٣

(٤) سورة الاحقاف ـ آية ١٥

(٥) نقلها المرحوم الشيخ عبد الحسين الاميني ـ الغدير ٨ / ٩٦ طبع بيروت دار الكتاب العربي ١٩٦٨م عن مصادرها التأريخية، وذكر أن الخليفة عمر ـ بعد تبيان الإمام علي عليه السلام لهذا الحكم ـ قال: «لولا علي لهلك عمر».

ثانياً ـ السنّة النبوية:

وتعتبر السنّة النبوية المصدر الثاني لتفسير آيات القرآن الكريم، واستفادة الأحكام الشرعية الواردة فيه، وشرح ألفاظه، وكشف المراد منها، وبيان مجمله، وتوضيح متشابهه، وغير ذلك مما أشكل فهمه على الأمّة

وكان رسول الله ﷺ ـ كما تشير المصادر ـ يعلم أصحابه الكتاب، ويفسّر لهم ما أشكل عليهم منه. قال تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[1]

فالآيات التي كانت تنزل على رسول الله مجملة لا يبيّن ظاهرها عن المراد بها مفصّلاً، مثل قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[3] وما أشبه ذلك، وكان يتوقّف فهم تفصيل أعداد الصلاة، ومواعيد ركعاتها، ومقادير النصاب في الزكاة، وتفصيل مناسك الحج وشروطه، على بيان النبي ﷺ، ووحي من جهة الله تعالى، وقد روي أن النبي ﷺ لم يكن يفسّر القرآن إلا بعد أن يأتي به جبرائيل[4]، ولهذا ذكر أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح[5]

وكان النبي ﷺ يفسّر القرآن لأصحابه، تارة يكون بصورة عامة حسب حاجة المسلمين، وأخرى يفسّره للخاصة من أصحابه المعنيين بشأن التفسير، وهذا ما كان يتوسّم به بما ينسجم ومستوى المسؤولية المعديه التي كان يتوسّم بهم هذه الدرجة.

---

(١) سورة البقرة ـ آية: ١٥١

(٢) سورة البقرة ـ آية: ٤٣.

(٣) سورة آل عمران ـ آية: ٩٧

(٤) الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٤ ـ ٦.

(٥) الطبرسي ـ مجمع البيان: ١ / ٣١.

إذاً، ما هي علاقة السنّة النبوية الشريفة بالكتاب الكريم؟

ومن أجل توضيح مدى هذه العلاقة بينهما يقرر علماء أُصول الفقه أنها على أربعة أوجه:

أولاً: أن تكون السنّة موافقة لما ورد في القرآن الكريم من كل وجه. فيكون توارد القرآن والسنّة على الحكم من باب توارد الأدلة وتظافرها.

ثانياً: أن تكون السنّة بياناً لما أُريد بالقرآن وتفسيراً له.

ثالثاً: أن تكون السنّة مبيّنة لحكم سكت القرآن عن توضيحه بإثبات أو نفي.

رابعاً: أن يختلف مدلول السنّة عن مدلول الكتاب الكريم.

ويتصور ذلك في حالتين:

١ ـ أن يكون الجمع بينهما كما في صور العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد. وذلك بحمل العام على الخاص، أو المطلق على المقيد. وتكون السنّة بمنزلة القرينة على المراد بالكتاب.

٢ ـ أن لا يمكن ذلك، كما في صور التباين.

ففي الحالة الأُولى يؤخذ بالسنّة بوصفها قرينة. وهذه الحالة يمكن إلحاقها بالوجه الثاني لرجوعها إلى البيان والتفسير.

وفي الحالة الثانية لابد من التفصيل بين:

آ ـ أن تكون السنّة ثابتة ثبوتاً قطعياً عن النبي ﷺ. فيلتزم نسخ المتأخر للمتقدّم.

ب ـ أو أن لا تكون كذلك فيؤخذ بالكتاب، ويطرح الخبر المعارض له[1].

---

(١) راجع لزيادة الاطلاع على علاقة السنة بالقرآن (محمد بحر العلوم ـ الاجتهاد أصوله وأحكامه: ٦٨ / طبع بيروت ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ١٣٩٨م.

وهكذا علاقة السنّة الشريفة بالقرآن الكريم، وعلى هذا الاعتبار تكون السنّة مصدراً ثانياً لتفسير القرآن، وكشف مفاهيمه، وبيان المراد منه.

ثالثاً ـ هل تفسير أئمة أهل البيت أو الصحابة أو التابعين حجة؟

اختلف المسلمون في حجية المفسّرين بعد حجية المصدرين الأساسيين (الكتاب والسنة)

فالإمامية من المسلمين ألحقوا بالسنّة النبوية كل ما صدر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

وبعض المسلمين ألحقوا الصحابة الكبار ـ رضوان الله عليهم ـ بالسنّة الشريفة

كما ألحق بعض آخر رؤوس التابعين مرفوعاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله). وأعطى سمة الحجية في التفسير لهم

ومن خلال الوقوف على الحجية سوف ننظر إلى مرجعية أقوال الأطراف بصورة موجزة ـ إتماماً للفائدة المرجوة

١ ـ أئمة أهل البيت

ذهبت الإمامية الاثنا عشرية من المسلمين إلى اعتبار ما صدر عن أئمة أهل البيت ـ علي بن أبي طالب، ومن بعده أولاده الأحد عشر (عليهم السلام) ـ سنّة واجبة الاتباع، ولم يختلف في ذلك منهم أحد من القدامى والمتأخرين.

قال الشيخ الطوسي ـ من أعلام مفسّري الإمامية في القرن الرابع الهجري ـ:

«واعلم أن الرواية ظاهرة في إختيار اصحابنا (الإمامية) بان تفسير القران لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ»(١).

وأوضح السيد الخوئي ـ من أعلام مفسّري الإمامية في القرن الرابع عشر الهجري ـ رأي الإمامية في هذا الصدد فقال:

«ولابد للمفسّر من أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح، أو يتّبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح، فإنه حجة من الداخل، كما أن النبي ﷺ حجة من الخارج، أو يتّبع ما ثبت عن المعصومين عليهم السلام، فإنهم المرجع في الدين، والذين أوصى النبي ﷺ بوجوب التمسك بهم، فقال «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»(٢)، ولا شبهة في ثبوت قولهم إذا دلّ عليه طريق قطعي لا شك فيه، كما انه لا شبهة في عدم ثبوته إذا دلّ عليه خبر ضعيف غير جامع لشرائط الحجية»(٣)

والإمامية حين تأخذ من أئمتهم تفسير القرآن، وتراه حجة، فإن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يؤكد على تبحّره في القرآن وعلومه، يقول «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً» (٤)

٢ ـ طريق الصحابة

وقد اختلف في حجية تفسير الصحابة، فوضّحت بعض المصادر الرأي في هذه المسألة بقولها: «إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل،

---

(١) الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٦
(٢) راجع مصادر هذا الحديث الخوئي ـ البيان في تفسير القرآن: ٤٩٩
(٣) الخوئي ـ المصدر السابق: ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
(٤) الحكيم ـ علوم القرآن: ٨٩ عن فتح الباري شرح البخاري ـ ١ / ٤٢٢.

له حكم المرفوع»[1].

ويعلل هذا القول، بأن الصحابة أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصّوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، وأن النبي ﷺ بيّن لأصحابه كل ما في القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه[2].

ولكن هذا الرأي كان موضع اختلاف وجدل عند البعض الآخر من أعلام المفسّرين، حيث يرون أن «من الموقوفات تفسير الصحابة، وأما مَن يقول إن تفسير الصحابة مسند، فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول»[3].

وهذه الإشارات تفيد اختلاف علماء المسلمين المفسّرين في اعتبار حجية تفسير الصحابي، اللهم إلا ما كان عن طريق النبي ﷺ، ومصدر موثوق به.

ولكن وجود بعض الوضّاعين للحديث ينتسبون للصحابة، سبّب تسرّب الشك الى كثير من الروايات والأحاديث، مما اضطر الباحثون إلى إرجاع أغلبها على كتب الجرح والتعديل لتمحيص الصحيح منها من الموضوع[4].

---

(1) السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن ٢ / ١٧٦، والزركشي ـ البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٥٧

(2) السيوطي ـ المصدر السابق ٢ / ١٧٦ و١٧٩

(3) فصّل الزركشي (المصدر المتقدم: ٢ / ١٥٧) القول في هذا الأمر فقال:
«ما «الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبي ﷺ كما قاله الحاكم (النيسابوري) في تفسيره. وقال ابو الخطاب من الحنابلة يحتمل ألا يرجع اليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة. والصواب الأول، لأنه من باب الرواية، لا الرأي».
وعلّق السيوطي على هذا الرأي بقوله «قلت ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح، وغيره من المتأخرين، لأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه، مما لا مدخل للرأي فيه. ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال، ومن الموقوفات تفسير الصحابة. وأما من يقول إن تفسير الصحابة مسند فإنما يقول فيما فيه سبب النزول أو نحوه. فقد خصّص هنا، وعمّم في المستدرك فاعتمد الأول» راجع (السيوطي ـ المصدر المتقدم: ٢ / ١٧٩).

(4) يراجع في هذا الصدد لزيادة الايضاح: الغزالي، محمد بن محمد بن أبي حامد ـ المستصفى من علم الأصول: ١ / ١٣٥ طبع القاهرة مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٦، والشاطبي، ابراهيم بن موسى المالكي ـ الموافقات في أصول الشريعة: ٤ / ٤٠ طبع القاهرة مصطفى محمد ١٣٤١.

٣ ـ طريق التابعين

التابعون، مصطلح يطلق على طبقة من الرجال الذين ليست لهم صحبة مع الرسول ﷺ، إذ يأتون بعد طبقة الصحابة، وينحصر تلقّيهم للتفسير عن الصحابة، وربما تكلّموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال[1].

وقد اختلف في اعتبار تفسير التابعين حجة أم لا؟

والذي يظهر من بعض المصادر اعتباره في درجة متأخرة عن تفسير الصحابة، ولم يأخذ به كحجة في مقام الاعتبار. يقول السيوطي:

واعلم أن القرآن قسمان. أحدهما ورد تفسيره في النقل عمن يعتبر تفسيره، أو لم يرد.

والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد عن النبي ﷺ، أو الصحابة، أو رؤوس التابعين.

فالأول: يبحث فيه عن [illegible]

والثاني: ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسّره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتماده، أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذّر قدم ابن عباس، فإن النبي ﷺ بشّره بذلك، حيث قال: «اللهم علّمه التأويل»، وقد رجّح الشافعي قول زيد في الفرائض للحديث الشريف: «أفرضكم زيد».

والثالث: ما ورد عن التابعين فحيث أجاز الاعتماد عليه فيما سبق فكذلك، وإلا وجب الاجتهاد[2].

---

(١) السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٧٧.

(٢) السيوطي ـ المصدر السابق: ٢ / ١٧٩.

وأكّد بدر الدين الزركشي الاختلاف، فذكر في الرجوع الى قول التابعي روايتان عن أحمد بن حنبل. وعبدالله بن محمد بن عقيل المنع، وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسّرين على خلافه، لأن غالب أقوالهم تلقّوها من الصحابة. ولعل أختلاف الرواية عن احمد إنما هو فيما كان من أقوالهم وآرائهم[1].

وهذه النصوص تصرّح بوجود اختلاف في حجية تفسير التابعي، واعتباره أصلاً، اللهم ما كان على سبيل الطريقية، بمعنى كونها مرفوعاً الى النبي ﷺ، أو في حدود أسباب النزول، أو تفسير المعنى اللغوي.

بعد هذا العرض الموجز لأقوال علماء التفسير في هذه الطرق الثلاثة نجد:

١ ـ أن الإمامية أجمعت على اعتبار حجية تفسير الإمام المعصوم باعتباره سنداً وامتداداً للسنّة الشريفة، استناداً الى «حديث الثقلين»، الذي رواه الخاصة والعامة من المسلمين ـ والذي أشرنا إليه فيما سبق ـ وساوى بصريح القول بين الكتاب والعترة المطهرة، وأنهما متلازمان، أحدهما متمّم للآخر.

ويؤكد هذه الحقيقة الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدّث به أحداً»[2].

٢ ـ أما بالنسبة للصحابة والتابعين، فقد اختلف علماء التفسير في حجية أقوالهم، وبيان تفسيرهم.

فما كان مرفوعاً الى النبي ﷺ فلا غبار على قبوله، وكذلك إذا كان أمر التفسير مقتصراً على توضيح المعنى اللغوي، أو أسباب النزول فلا شك أنهم مورد لذلك، ولا يتوقّف فيه.

وإذا تعدّى ذلك فإنه تفسير بالرأي، وهو أمر منهي عنه، ولا يجوز تفسير

---

(١) الزركشي ـ البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٥٨.

(٢) الفيض الكاشاني ـ تفسير الصافي: ١ / ٢١.

القرآن مبتنياً على الترجيح الشخصي والظنون والاستحسان.

وقد أشرنا الى أن بعض الأعلام من المفسّرين يرون من الموقوفات تفسير الصحابة والتابعين، اللهم إلا إذا كان في سبب النزول، أو ما تعنيه المفردات القرآنية من المعاني اللغوية، فلا شك في اعتباره وقبوله.

رابعاً ـ علوم المعرفة:

اشترط علماء التفسير أن لا يكون المُفسّر سطحياً، يحمل شيئاً زهيداً من المعرفة، فيقع في مشكلات التفسير، وحينها يكون عمله عبأ أكثر من كونه نتاجاً قيّماً، له أثره في كشف الجوانب العلمية القيمة، وكنوزه الثرة بكل ما يقوّم الحياة.

وقد اختلف علماء التفسير في تحديد العلوم التي لابد أن تعتمد لدى المُفسّر ويكون على بينة ومعرفة بها، فبعضهم أوصلها الى خمسة عشر علماً، واشترط أن يكون حاصلاً عليها على وجه الاتقان والكمال، وهي:

أولاً: علوم اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، وغيرها مما لها علاقة باللغة العربية[1].

وقد أكّد الله سبحانه في أكثر من آية في كتابه الكريم بأن القرآن نزل ﴿بلسان عربي مبين﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾[3]، والى غير ذلك من الآيات المتعددة، ومنها يستفاد أن هذا القرآن عربي الأسلوب، وبلاغة ولفظ عربي، وإن كان لا يخلو من كلمات غير عربية، لكن الصفة العامة عربي البيان، لأن الله سبحانه حينما أرسل رسله وأنبيائه للبشر

---

(1) مقدمة تفسير مجمع البيان: ١ / ٥.

(2) سورة الشعراء ـ آية: ١٩٥.

(3) سورة فصلت ـ آية: ٣. راجع بالإضافة الى هذه الآية والآية السابقة الآيات التالية: النحل: ١٠٣ وفصلت: ٤٤ ويوسف: ٢ والرعد: ٣٧ وطه: ١١٣ والزمر: ٢٨ والشورى: ٧ والزخرف: ٣ والاحقاف: ١٢

يخاطبهم بما يفهمونه من لغتهم، وينزّل الكتب على أساس لغاتهم.

وهكذا كان شأن النبي محمد ﷺ الذي أرسله عربياً لأمة كانت الفصاحة والبلاغة والبيان العربي سمتها الأصيلة، وطابعها القويم.

وطبيعي أن يكون الكتاب المعجز على جانب كبير من الفصاحة والبلاغة والبيان العربي، عجز العرب أن يأتوا بسورة مثله، حين تحداهم بقوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾[1]، وحين يكون كذلك فلابد أن تكون اللغة العربية أحد مصادر تفسير الكتاب.

ومن هذا المنطلق اشترط المعنيون بالتفسير أن يكون المفسّر عالماً بلغات العرب[2]، استناداً الى قول رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها»[3]

ولابد من الاطلاع على علوم العربية اطلاعا كافيا، بحيث لا يعسر عليه فهم النص القرآني المتنوع، وخصوصيات أسلوبه، وبيان غريبه، وحقيقته ومجازه.

ويمكن تحديد الجوانب المتعلقة باللغة العربية في خصوص تفسير النص القرآني بالآتي

١ ـ توضيح المعنى اللغوي للألفاظ البعيدة عن الفهم العام، أو المراد من المعاني المشتركة للفظ، والموجب للالتباس والتحيّر

٢ ـ تبيان المعنى الحقيقي، أو المجازي للفظ القرآن، أو الاستعارة أو الكناية، مما يحدّد الغرض المطلوب.

٣ ـ تعريف الألفاظ الغريبة التي تؤدي الى الاختلاف في التفسير، وضياع

---

(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) نقل الزركشي هذا الشرط عن انس بن مالك اذ يقول: لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالاً. راجع لزيادة الاطلاع (الزركشي ـ البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٦٠).

(٣) ذكره الطبرسي في (مجمع البيان ١ / ١٦) عن حذيفة اليمان عن رسول الله ﷺ.

المقصود من الكلمة التي يترتب عليها مدلول موضوعي في القرآن.

ولسنا في صدد الاستدلال على أن علم اللغة العربية من أُسس مصادر التفسير، ويترتب عليه جلاء كثير من الغموض والإيهام الذي يعتري الكلمة في سياق الآية الكريمة ـ وخاصة تلك التي يترتب عليها حكم شرعي ـ لوضوح الأمر، وهي مشكلة تنبه إليها علماء التفسير. فألّفوا الكتب التفسيرية، وانصب جلّ اهتمامهم على هذا الجانب. لأن القرآن نزل بلغة العرب، وطبيعي أن تكون اللغة العربية أساساً لفهم المفردات، ومعرفة المقصود منها. وهذا ما دعى مجاهد ـ وهو من أعلام المفسّرين ـ أن يقول: «لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»[1].

ثانياً العلوم المتنوعة، والمعارف العامة، وهي على وجه التقريب: القراءات، وأصول الدين، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، والفقه، وأصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، وعلم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم[2].

إن عملية التفسير للقرآن الكريم تقتضي سعة الأفق الفكري للمفسّر، نظراً لكونه دستوراً للأمة إلى آخر الزمان، على أساس أن الإسلام خاتم الرسالات السماوية للبشرية، وقد أكّد هذه الحقيقة الامام علي (عليه السلام) حيث قال: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»[3].

ومن خلال هذه التوسعة الفكرية في القرآن الكريم، وضرورة ذلك لكونه المصدر الأساس للعطاء الفكري المستجد لما يقتضيه بناء الإنسان في مجتمعه نحو التكامل والسمو لا لوقت محدد، بل لكل عصر وزمان، بما في حركة الواقع الإنساني وتطورها، وبمقتضى ضرورة مواكبة ما يحدث لكل زمن أن يكون هذا السفر الخالد

---

(١) للاطلاع على نماذج من هذه التفاسير الكيفية يراجع (الحكيم ـ علوم القرآن، ٢١ ـ ٥٤).

(٢) مقدمة تفسير مجمع البيان: ١ / ٥

(٣) كاظم محمدي، محمد دشتي ـ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٤ من خطبة الامام رقم ١٥٨ طبع بيروت دار الاضواء للطباعة والنشر ١٩٨٦م.

ـ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من كل جانب ـ شاملاً مستوعباً، يستطيع الذهن الإنساني أن يبلغ كنهه على مراحل، وليس بالضرورة مرة واحدة.

وهذه العلوم السالفة الذكر تعدّ من مصادر التفسير، تسيج المُفسّر وتمنعه من الجنوح الى التفسير بالرأي والاجتهاد. فقد نقل عن الرسول الأعظمﷺ أنه قال: «مَن تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[1]. وهذا الحديث ـ إن صحّ ـ يوضح مسؤولية المُفسّر من الاعتماد في مهمته التفسيرية على العلم والمعرفة، لا القول بدون دليل وعلم.



(1) السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٧٩.

الفصل الثاني

المفسّر الإمامي وتفاسيره



(١)

معنى المُفسّر، وإمام المفسرين

وبعد أن تناولنا في الفصل السابق التفسير ومصادره، ننتقل الى الحديث عن المقصود بالمفسّر، وعطائه الفكري عبر الزمن الطويل، ومدى بذل المسلمين الإمامية من الجهد في التأليف بهذا العلم مما سجّلت لهم المكتبة الإسلامية مئات من الأجزاء والمجلّدات في مختلف علوم القرآن، وقد أحصت بعض المؤلفات بهذا الشأن، وسنمرّ عليها بذكر لبعض هذه الكتب الاختصاصية في علوم القرآن.

أولاً ـ المقصود بالمفسّر:

المقصود بالمُفسّر، هو الذي يمارس عملية التفسير، ويتصدّى لمهمة كشف المراد عن اللفظ المشكل.

ونظراً لكون التفسير علماً، فلابد أن يقوم به ذو اختصاص، بأن يتوفر في المتصدّي له الإمكانات العلمية من أجل قبول ما يتوصّل إليه من بيان في التفسير القرآني، وبيان ما أشكل من لفظه.

ولهذا فكما اشترطوا في التفسير شروطاً، فكذلك اشترطوا في المُفسّر ـ أيضاً ـ شروطاً، لا يمكن لمَن لا تتوفر فيه تلكم الشروط أن يمارس عملية التفسير، لأن التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنه حجة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن اتباع الظن، وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه، قال

تعالى: ﴿قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾[2]. إلى غير ذلك من الآيات والروايات الناهية عن التفسير بالرأي، مستفيضة من الطريقين[3]. وقد أشرنا فيما تقدم الى النهي الوارد من التفسير بالرأي.

والقرآن الكريم يضم من العلوم المتنوّعة، فيما تخصّ الحياة الكونية والإنسانية، الذي اكتشف منها، ووصل اليها العقل البشري باعتباره مستمراً في التطور والابداع، أو الذي ما زال غير مكتشف، خاصة في مجال الكون الواسع الأرجاء.

ولهذا افترض أن يكون المفسّر ملماً بالعلوم العقلية والنقلية وباحثاً فيها، ومتفقهاً بها، لأننا لاحظنا أن غالبية المفسّرين ـ وفي حدود اطلاعنا ـ ينحون في تفسيرهم تبعاً لاختصاصهم العلمي أو الأدبي. وكانت النتيجة أن تشعّبت كتب التفسير الى اتجاهات متنوعة، يطغى عليها توجّه مؤلفها.

وقد يُغرق المفسّر في توجّهه الى درجة يفقد فيها ميزة التفسير.

وقد أشار بعض الأعلام الى هذه النقطة المركزية، مستشهداً بتفسير الفخر الرازي[4]. إذ قال فيه: «جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء، فيه كل شيء إلا التفسير»[5].

إن اختلاف الباحثين في التفسير يمكن إرجاعه الى الاختلاف الفكري، نظراً لتشعّب المذاهب فيما بينهم، بحيث لم يبق بينهم جامع في الرأي والنظر، إلا لفظ لا اله

---

(١) سورة يونس ـ آية ٥٩

(٢) سورة الاسراء آية: ٣٦

(٣) الخوئي ـ البيان في تفسير القرآن: ٣٩٧

(٤) محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبدالله فخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦ هـ، من المفسّرين المعروفين. له كتاب «مفاتيح الغيب» في تفسير القرآن، ثماني مجلدات، مطبوع

(٥) مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة ـ كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون: ١ / ٤٣١ طبع بيروت ـ دار الفكر.

إلّا الله، ومحمد رسول الله ﷺ. واختلفوا في معنى الأسماء والصفات والأفعال، والسماوات وما فيها، والأرض وما عليها، والقضاء، والقدر، والجبر، والتفويض، والثواب، والعقاب، والموت، والبرزخ، والبعث، والجنة، والنار.

وبالجملة: «اختلفوا في جميع ما تمسّه الحقائق، والمعارف الدينية، ولو بعض المسّ، فتفرّقوا في طريق البحث عن معاني الآيات، وكلّ يتحفّظ على متن ما اتخذه من المذهب والطريقة»[1].

وقد أشرنا إلى أن علماء التفسير أقروا مصادر للمفسّر لابد أن يعتمدها في حال عملية التفسير، وأن التخبط في هذا المجال ليس مقبولاً، لأن التفسير حسب الأهواء والتوجهات الفكرية الغير مقيدة بما يطمئن الوصول إلى الكشف عن المراد من اللفظ، لا يكون تفسيراً دقيقاً.

وأن أئمة أهل بيت رسول الله ـ عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ـ بصفتهم المصدر الأساس بعد الكتاب والسنّة النبوية عند المسلمين الشيعة، حرصوا كل الحرص على أن يكون لأتباع مدرستهم الفكرية مجال واسع في معرفة علوم الإسلام، ومنها علوم القرآن وتفسيره، نظراً لأهمية الاستفادة من هذا المصدر الأول، وما يترتب عليه من أحكام تخصّ الأمة والمجتمع.

ثانياً ـ إمام المفسّرين علي عليه السلام

وطبيعي أن يكون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مؤسس مدرسة أهل البيت بعد رسول الله ﷺ هو المورد الأساس لكشف عطاء القرآن في تنوّع علومه، ومصدره الحيّ لتفسيره.

وأكد هذا المعنى السيوطي حين تحدّث عن طبقات المفسّرين، فقال:

«اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن

---

(1) الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٥.

عباس، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الاشعري، وعبدالله بن الزبير.

أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً.

وأما علي فروي عنه الكثير، وقد روى معمر بن وهب بن عبدالله، عن أبي الطفيل، قال: شهدت علياً يخطب، وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم. وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار، أم في سهل أم في جبل»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن»[2].

وقال الامام علي عليه السلام «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً»[3].

ونقل عن ابن مسعود أنه قال: «قرأت سبعين سورة على رسول الله ﷺ، وقرأت البقية على أعلم هذه الأمة بعد نبيها علي بن أبي طالب»[4].

وقد حفظت من فيض وحاولنا سرد الأحاديث التي تؤكد على مكانة الامام علي عليه السلام العلمية، وفي علم التفسير خاصة، لقربه من رسول الله ﷺ الذي قال عنه - كما نقله جابر بن عبدالله -

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»[5]. وفي رواية

---

(1) السيوطي - الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٨٧

(٢)، (٣) السيوطي - المصدر السابق والجزء والصفحة

(٤) سليمان القندوزي - ينابيع المودة ٢ / ٧١ طبع صيدا - لبنان مطبعة العرفان بدون تاريخ

(٥) ابن عساكر ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق. ٢ / ٤٦٤ رقم ٩٨٤.

ولزيادة الاطلاع يراجع محمد هادي الحسيني الميلاني - قادتنا كيف نعرفهم. ٢ / ٣٧٩ عن مصادره طبع بيروت - مؤسسة الوفاء ١٤٠٦ هـ

ابن عباس: «... فمن أراد العلم فليأت الباب»[1].

والغريب أن المرحوم د. محمد حسين الذهبي ـ من علماء الأزهر المعاصرين ـ يرى أن الرواية كثرت عن الإمام علي عليه السلام «كثرة جاوزت الحدّ. الأمر الذي لفت أنظار العلماء، وجعلهم يتشعون الرواية عنه بالبحث والتحقيق، ليميزوا ما صح من غيره»[2].

ولذا فإنه يرى:

أولاً: أن «ما صح عن علي في التفسير قليل بالنسبة لما وضع عليه، ويرجع ذلك إلى غلاة الشيعة الذين أسرفوا في حبه، فاختلقوا عليه ما هو بريء منه، إما ترويجاً لمذهبهم وتدعيماً له، وإما لظنهم الفاسد أن الإغراق في نسبة الأقوال العلمية إليه يُعلي من قدره، ويرفع من شأنه العلمي..»[3].

ووقفتنا مع الذهبي في هذه الفقرة موزّعة على عدّة نقاط

١ ـ يرى الذهبي أن سبب قلة الأخذ في التفسير عن الإمام علي عليه السلام هو كثرة ما وُضع عليه من غلاة الشيعة، الذين أسرفوا في حبه فاختلقوا عليه ما هو بريء منه.

فإذا كان قصده بغلاة الشيعة هم الذين يغلون فيه، فنحن معه لا نأخذ بأقوالهم ونضربها عرض الجدار. ولا نحسب أن هناك مصدراً إمامياً ينقل أحاديث تشير إلى الكفر والغلو من قريب أو بعيد.

وإذا كان قصده بغلاة الشيعة الإمامية الاثني عشرية أولئك الذين يغالون في حبهم لإمامهم علي عليه السلام فهذا ليس بغلو، وإنما هو نابع من صميم الروايات والأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والتي تشير بأن حب علي من علائم الإيمان، وبغضه من علائم النفاق. وقد ذكر ابن عساكر الدمشقي بإسناده عن أبي

(١) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ١١ / ٢٠٤ رقم ٥٩٠٨.

(٢) (٣) د. محمد حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون: ١ / ٩٠ طبع القاهرة دار الكتب الحديثة

عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «حبّ عليّ يأكل الذنوب، كما تأكل النار الحطب»[1].

كما ذكر محب الدين الطبري بإسناده عن الاسلمي أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومَن آذى علياً فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله عزوجل»[2].

وهناك العديد من الروايات والأحاديث النبوية الموثّقة تؤكد لنا على حبّ علي عليه السلام والتمسك به. فأي ضير إذاً في الإسراف بحبّ علي، والتفاني فيه مادام ذلك يحبّه الله ورسوله. وهل هذا يسمّى إسراف في حبّ مَن يحبّه الله ورسوله؟!

٢ ـ ان الذهبي ادعى أن إسراف المغالين في حبّ علي عليه السلام أدى إلى اختلاقهم عليه ما هو بريء منه، وذلك إما ترويجاً لمذهبهم وتدعيماً له، أو لظنهم الفاسد أن الإغراق في نسبة الأقوال العلمية إليه يُعلي من قدره، ويرفع من شأنه العلمي.

كان على الذهبي أن يُريَنا بعض الروايات المختلقة التي يُقصد بها تدعيم مذهب أتباع مدرسة أهل البيت. وهل أن المذهب الذي يتبع أقوال الإمام علي وأولاده الأئمة الاحد عشر ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ يحتاج الى دعم وترويج، في حين كل المذاهب الإسلامية ترجع إليه، كما يفصّله ابن أبي الحديد ـ وهو في صدد ذكر مكانته العلمية ـ فيقول:

«إن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نُقل، واليه انتهى، ومنه ابتدأ....».

ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع

---

(١) ابن عساكر ـ تهذيب تاريخ دمشق: ٤ / ١٦٢، والمتقي الهندي ـ كنز العمال: ١١ / ٦٢١.

(٢) محب الدين الطبري ـ ذخائر العقبى: ٦٥.

فقهه أيضاً الى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد (الصادق)(ع)، وقرأ جعفر على أبيه(ع)، وينتهي الأمر الى علي(ع).

وأما مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عباس، وقرأ ابن عباس على عليّ بن أبي طالب.

وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك. فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأما فقه الشيعة، فرجوعه إليه ظاهر (فإن مصدره هو الأئمة الاثنا عشر علي وأولاده. يأخذ الإمام علمه من أبيه الإمام، واحداً تلو الآخر، حتى ينتهي الى الإمام علي(ع))

وأيضاً، فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي(ع).

أما ابن عباس فظاهر، فقد قال ابن أبي الحديد: «وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته لعلي، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه»[1]

وأما عمر فقد عرف الكل رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة «لولا عليّ لهلك عمر»، وقوله: «لا بقيتُ لمعضلة ليس لها أبو الحسن»، وقوله: «لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر». فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه[2].

ثانياً: ويرى الذهبي أن الشيعة إنما اختلقوا على إمامهم ما هو بريء منه:

أ ـ إما ترويجاً لمذهبهم وتدعيماً له...

ما هي الحاجة التي تدعوا الشيعة لانتحال أقوال على إمامهم لدعم مذهبهم؟

---

(١) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩ طبع القاهرة ـ دار أحياء الكتب العربية ـ البابي الحلبي / ط ثانية ١٩٦٥ منشورات مكتبة آية الله السيد المرعشي ـ قم ـ إيران.

(٢) ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ١ / ١٩.

فكلام علي عليه السلام ـ كما يقولون ـ: «دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق»[1].

إن مذهب الإمامية ـ وهو الاعتقاد بخط إمامة علي وأولاده الأحد عشر عليهم السلام ـ لا أعتقد بحاجة الى تدعيم جهة أو أحد. فهو مذهب قائم بذاته له جذوره الأساسية المنتهية الى رسول الله صلى الله عليه وآله منذ تأريخ الإسلام الأول. والباحث الموضوعي يستطيع أن يستنتج من التأريخ الإسلامي امتداد هذا المذهب الى عهد الرسول صلى الله عليه وآله[2].

ب ـ وأما لظنهم الفاسد أن الإغراق في نسبة الأقوال العلمية إليه يُعلّي من قدره، ويرفع من شأنه العلمي[3]...

الظاهر أن الكاتب أخذ يسطر الكلمات دون تمحيص. فالشيعة لا تُلقي الكلمات على عواهنها. فلماذا لا ترفع شهادات النبي صلى الله عليه وآله في حق علي من شأنه العلمي؟ فنحن يقول صلى الله عليه وآله «انا مدينة العلم وعلي بابها». وفي رواية ابن عباس: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد العلم فليأت الباب» ـ وقد مرت الإشارة الى مصدر الروايتين وأمثالها ـ فلا تلفيقها يرفع من شأن علي العلمي.

ثالثاً: ويظن الذهبي أنما نسب الى علي عليه السلام من قوله: «ولو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرى (سورة الفاتحة) لفعلت» لا أصل له. أللهم إلّا في أوهام الشيعة الذين يغالون في حبه، ويتجاوزون الحدّ في مدحه[4].

ولنا مع هذا القول:

١ ـ إن قول الإمام علي عليه السلام بشأن تفسير فاتحة الكتاب نقله السيوطي بإسناده عن ابن أبي جمرة. المحدّث المالكي[5] ولم ينقله الشيعة. والناقل هذا صاحب

---

(١) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة. ١ / ١٩.

(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ـ أصل الشيعة وأصولها. ٤٣ طبع بيروت ـ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / ط ـ الرابعة ١٩٨٢م.

(٣) د. الذهبي ـ التفسير والمفسرون.

(٥) عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة أبو محمد من العلماء المحدثين. مالكي،

مختصر صحاح البخاري.

وعلى هذا فإن ادعائه أنه من أوهام الشيعة باطل وتجني عليهم، فإن لفيفاً من علماء السنة يؤمنون بهذا القول الصادر من الإمام، ولا يرون فيه غرابة إلا الذين في قلوبهم مرض.

٢ ـ إن السيوطي يحاول أن يبدد ما علق بأذهان هؤلاء المستغربين من قول الإمام علي عليه السلام بشأن تفسير سورة الفاتحة فقال:

«وبيان ذلك: أنه إذا قال: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ يحتاج تبيين معنى الحمد، وما يتعلّق به الاسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به من التنزيه. ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيه على جميع أنواعه وأعداده، وهي ألف عالم، أربعمائة في البر، وستمائة في البحر فيحتاج الى بيان ذلك كله فإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ يحتاج الى بيان الاسمين الجليلين، وما يليق بهما من الجلال، وما معناهما. ثم يحتاج الى بيان جميع الأسماء والصفات. ثم يحتاج الى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما. فإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ يحتاج الى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال، وكيفية مستقره فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يحتاج الى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفيتها وأدائها على جميع أنواعها، والعابد في صفته، والاستعانة وأدائها وكيفيتها

فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الى آخر السورة يحتاج الى بيان الهداية ما هي؟ والصراط المستقيم وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم، والضالين، وصفاتهم، وما يتعلّق بهذا النوع، وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم. فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي عليه السلام من هذا القبيل»[1].

أصله من الاندلس، ووفاته بمصر عام ٦٩٥ هـ، من كتبه مجمع النهاية مطبوع، اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة، وله كتابان أيضاً في الحديث، راجع ترجمته في الزركلي ـ الاعلام: ٤ / ٨٩ طبع بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٨٦ الطبعة السابعة.

(١) السيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٨٦.

رابعاً: وينتهي الكاتب بالقول:

«والحق أن كثرة الوضع على علي (ع) أفسدت الكثير من علمه، ومن أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح فيما يروونه عنه إلا على ما كان من طريق الإثبات»[1].

وموقفنا من هذا الادعاء:

١ ـ لقد هال الكاتب أن يروى عن الإمام علي (ع) ـ ربيب رسول الله ﷺ والذي نشأ في بيت النبوة، ولازم ابن عمه محمد ﷺ من يوم كان عمره ست سنوات[2] الى أن انتقل الى رحاب الله، كما تؤكد الأخبار الصحيحة ـ بعض الأحاديث واستكثر عليه ذلك، في حين لم يستغرب من بعض الصحابة الذين لازموا رسول الله لسنوات معدودة، وربما وصلت بالبعض لثلاث سنوات أو أقل، وروت عنه آلاف الأحاديث مما اضطر الخليفة عمر بن الخطاب أن يضربه بالدرة

---

(١) د. الذهبي ـ التفسير والمفسرون ١ / ٩٠.

(٢) ذكر ابن هشام في «السيرة النبوية» ١ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦ طبع القاهرة مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٩٥٥، كيفية انتقال علي بن أبي طالب الى بيت محمد رسول الله ﷺ قال:

«وكان مما أنعم الله على عليّ بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الاسلام. قال ابن اسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج، قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، وما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم، يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً فنكلهما عنه. فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله ﷺ علياً، فضمه اليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علي، وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم».

ولزيادة الاطلاع راجع ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة: ١ / ١٥.

لكثرة وضعه على رسول الله ﷺ[1].

٢ ـ ان ادعائه قلة ما ورد عن الإمام علي في علم التفسير، توهّم محض، لأن المتيقن أن عبدالله بن عباس ـ حبر الأمة ـ هو تلميذ الإمام علي، ويعترف بمكانته العلمية حين طُلب منه أن يبين نسبة علمه لعلم ابن عمه علي فقال: «كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط»[2]. ومن المؤكد أنه أخذ علم التفسير من علي عليه السلام. أكّد ذلك ابن أبي الحديد بقوله:

«ومن العلوم (التي عرف الإمام علي بها) علم تفسير القرآن، وعنه أُخذ، ومنه فرّع. وإذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه، وعن عبدالله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه»[3].

وإن الكاتب هنا يثني على ابن عباس، وعلى مكانته العلمية لعوامل عديدة، منها: دعاء النبي ﷺ له، بقوله «اللهم علّمه الكتاب والحكمة». ولأنه نشأ في بيت النبوة.

وهذان الأمران متوفران في علي فأما الدعاء له، فقد جاء في كثير من أقواله ﷺ[4].

وإذا كان جلّ الصحابة والتابعين يرون هذا الشأن العلمي لعلي عليه السلام، سواء في التفسير أو غيره من العلوم التي أشار إليها الرسول الأعظم ﷺ في قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومَن أراد العلم فليأت الباب». فما قيمة الآخرين الذين ينكرون على الإمام علي ذلك، ويرونه كثيراً عليه، علماً أن مكانة علي لا يزعزعها حاقد أو مغرور.

---

(١) شمس الدين الذهبي ـ سير أعلام النبلاء: ٢ / ٤٣٣ و٤٣٨ و٤٢٩ و٤٣٠ و٤٢٤ و٤٣٥ طبع القاهرة دار المعارف ١٩٥٧

(٢)(٣) ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩

(٤) لزيادة الاطلاع راجع ابن عساكر ـ ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٦ / ٢٢٥



(٢)

مفسّرو الشيعة، وتراثهم

كما أشرنا في البحث السابق الى أن الامام علي عليه السلام هو أول شخصية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم خصائص القرآن لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قال عنه صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». وإذاً لا غرابة إذا كان علي عليه السلام وطلابه هم اللبنة الأساس لمدرسة التفسير في الصدر الأول من الإسلام.

لقد كان عطاء مدرسة أهل البيت في تفسير القرآن وعلومه ثراً ومهماً في تأريخ هذه المدرسة منذ انطلاقتها في عهد الإمام علي عليه السلام الى عصرنا هذا

وقد ذكرت بعض المصادر المختصة طبقات مفسّري الشيعة، وتجاوزت بهم المئات، وسوف أشير لبعض المفسّرين، وتفاسيرهم المخطوطة والمطبوعة كنماذج حية لمؤلّفي هذا العلم الجليل

أولاً ـ من مفسّري الشيعة[1]

ـ عبدالله بن عباس المتوفّى ٦٨ هـ حبر الأمة. وهو أول مَن أملا في تفسير القرآن من شيعة أمير المؤمنين، ووصفته بعض المصادر برئيس المفسّرين.

ـ ميثم بن يحيى التّمار الكوفي من خواص أصحاب الإمام علي عليه السلام. قتله عبيد الله بن زياد عام ٦٠ هـ له تفسير أملاه على ابن عباس.

ـ جابر بن عبدالله الانصاري، المتوفّى ٧٤ هـ عدّته بعض المصادر بأنه من الطبقة الأولى في طبقات المفسّرين، وهو من تلاميذ الإمام علي عليه السلام.

ـ سعيد بن جبير المقتول بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٩٥ هـ وصف بأنه: «من أعلم التابعين بالتفسير»

ـ محمد بن حسن بن أبي سارة المعروف بـ «الرواسي» شيخ أبي جعفر، يروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام. له كتاب تفسير باسم تفسير اعراب القرآن، أو باسم «تفسير معاني القرآن».

ـ محمد بن سائب بن بشر الكلبي، أبو نصر المتوفّى عام ١٤٦ هـ من أصحاب الإمامين الباقر والكاظم عليهما السلام. له تفسير يعرف بآيات الاحكام. وقد نقل في تعريفه: بأنه ليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع.

---

(1) اعتمدت في هذا العرض على المصادر التالية

حسن الصدر ـ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام. ٣٢٢ ـ ٣٤١ طبع بغداد

وآغا بزرك الطهراني ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ٤ / ٢٣١ ـ ٣٤٥ طبع بيروت ـ دار الاضواء

ود. محمد شفيعي ـ مفسران شيعه ٦١ ـ ٢٠٢ (فارسي) طبع طهران ـ مطبعة بيست وپنجم شهريور / ١٣٤٩ شمسي ـ ١٩٧٠م

ود. عقيقي بخشايشي ـ طبقات مفسران شيعة (فارسي) ثلاث مجلدات. طبع قم ١٣٧١ هـ

وعامر الحلو ـ معجم الدراسات القرآنية عند الشيعة الامامية مجلد واحد طبع دار الموسم للاعلام ـ بيروت ١٩٩١.

- أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري الجريري المتوفّى ١٤١ هـ له كتاب تفسير، كما له عدّة كتب في علوم القرآن.

- محمد بن علي بن أبي شعبة، أبو جعفر الحلبي المتوفّى عام ١٣٥ هـ له كتاب تفسير.

- علي بن أسباط بن سالم، أبو الحسن الكوفي، روى عن الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام. له كتاب تفسير.

- يحيى بن أبي القاسم الأسدي، أبو بصير المتوفّى عام ١٥٠ هـ ممّن روى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. ذكرت بعض المصادر أن له في التفسير مصنّفاً معروفاً

- داود بن دينار السرخسي، أبوبكر المتوفّى عام ١٣٩ هـ. من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام. له كتاب تفسير يعرف بتفسير ابن أبي هند.

- ثابت بن أبي صفية دينار، المعروف بأبي حمزة الثمالي، المتوفّى ١٥٠هـ من أصحاب الأئمة الأربعة علي بن الحسين (زين العابدين) ومحمد بن علي (الباقر)، وجعفر بن محمد (الصادق) وموسى بن جعفر (الكاظم) عليهم السلام. ذكرت المصادر بأن له كتاب تفسير. روى عنه الثعالبي في كتابه الكشف والبيان في تفسير القرآن.

- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة القرشي التابعي الكوفي، المعروف بالسدي الكبير، نسبة الى سدّة مسجد الكوفة، المتوفّى ١٢٣هـ له كتاب تفسير، وصفته بعض المصادر بأنه من أمثل التفاسير.

- علي بن أبي حمزة البطائني الكوفي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام. له تفسير، أكثر روايته فيه عن أبي بصير يحيى بن القاسم.

- علي بن الحسن بن فضال الكوفي، المعروف بابن فضال الصغير، تمييزاً عن أبيه الحسن بن علي المتوفّى ٢٢٤هـ المعروف بابن فضال الكبير، من تصانيفه كتاب التفسير.

ـ الحسن بن محبوب السراد أو الزراد من أصحاب الإمامين الكاظم والجوادعليهما السلام، المتوفى ٢٢٤ هـ له كتاب التفسير.

ـ أحمد بن محمد بن سعيد، المعروف بابن عقدة الزيدي، من أعلام القرن الثالث حيث ولد ٢٤٩ هـ وتوفي عام ٣٣٣ هـ. له كتاب تفسير القرآن، وصف بأنه كتاب حسن، ونقل السيد ابن طاوس المتوفى ٦٦٤ هـ في رسالته في «محاسبة النفس» عن هذا التفسير.

ـ أحمد بن داود بن ونند النحوي اللغوي، المعروف بأبي حنيفة الدينوري، المتوفى عام ٢٨٠، أو ٢٨١، أو ٢٨٢ هـ على خلاف ذكر في ترجمته، وقيل إن له كتاب في القرآن يبلغ ثلاثة عشر مجلداً.

ـ أحمد بن أبي عبدالله محمد بن خالد البرقي، المتوفى في ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ، المعروف بالبرقي الصغير، له كتاب تفسير.

ـ سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع التستري، أبو محمد المتوفى ٢٨٣ هـ له كتاب تفسير مختصر.

ـ محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، أبو النضر ـ من أعلام القرن الثالث ـ له كتاب تفسير.

ـ ابن همام الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، المتوفى ٢١١ هـ له كتاب تفسير، وهو من أقدم التفاسير.

ـ الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ هـ عرّفته المصادر بأنه من المكثرين في التفسير، له التفسير كبير جامع، كما له التفسير صغير.

ـ علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني، أبو الحسن، المتوفى ٣٨٤هـ عرف بالإمام المعتز النحوي الشهير، استحسن الشيخ الطوسي في أول تفسير التبيان تفسير الرماني، وقال عنه: «هو أصلح ما صنف في هذا المعنى».

- محمد بن إبراهيم بن جعفر، أبو عبدالله الكاتب النعماني، تلميذ الشيخ الكليني، له كتاب في التفسير يعرف بتفسير النعماني، قالوا عنه: إنه الكتاب الذي نوّع فيه أنواع القرآن الى ستين نوعاً، ومثّل لكل نوع مثالاً يخصه، روى كله عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، فيه كل أنواع علوم القرآن.

- محمد بن علي بن عبدك الجرجاني، من أعلام القرن الرابع، له تفسير كبير حسن، وصف بأنه جليل القدر، مفسّر وفقيه ومتكلم.

- محمد بن الحسن الشيباني من أعلام القرن الرابع، صاحب تفسير «نهج البيان عن كشف معاني القرآن»، وصف بأنه من أجلة علمائنا المتقدمين، أستاذ الشيخ المفيد، ذكر في مقدمة تفسيره جميع أقسام علوم القرآن، صنّف كتابه باسم المستنصر العظمى.

- محمد بن العباس بن علي بن مروان بن ماهيار، البزاز، أبو عبدالله، المعروف بابن الجحام، ذكر أنه من المكثرين في التأليف في القرآن، وقد ذكر من تآليفه كتاب التفسير الكبير، بالاضافة الى أن له ثلاثة كتب بعنوان كتاب «تأويل ما نزل في النبي وآله صلى الله عليه وآله»، وكتاب «تأويل ما نزل في شيعتهم»، وكتاب «تأويل ما نزل في أعدائهم».

- اسماعيل بن علي بن الحسين السمان، أبو سعد، عرف بأنه الشيخ الفقيه المفسّر، المعاصر للسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، وذكر أن له تفسير اسمه «البستان في تفسير القرآن» يقع في عشر مجلدات

- عبد الكريم بن هوازن النيشابوري، أبو القاسم القشيري المتوفى ٤٦٥ هـ له تفسير يقع في ٧٠ مجلد.

- محمد بن الحسن بن علي بن أحمد الفتال النيسابوري، من أعلام القرن الخامس وأوائل السادس، له تفسير اسمه «التنوير في معاني التفسير»، وصف بالثقة.

- ظهير الدين أبو جعفر محمد بن محمود النيسابوري من أعلام القرن السادس، له تفسير البصائر، كبير في عدة مجلدات، فرغ من تأليفه عام ٥٧٧ هـ.

وضعه بالفارسية.

ـ ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسيني الراوندي، من أعلام هذا القرن، له كتاب «الكافي في التفسير».

ـ محمد بن هارون بن محمد بن كوكب الحلّي المقري، أبو عبدالله، المعروف بابن كيال أو كال، المتوفى عام ٥٩٧ هـ ذكر من تصانيفه «مختصر التبيان في تفسير القرآن»، وكتاب «متشابه القرآن».

ـ محمد بن محمود النيشابوري، ظهير الدين أبو جعفر، من أعلام القرن السادس، له كتاب تفسير يقع في عدة مجلدات بالفارسية، ذكر أنه فرغ من تأليفه سنة ٥٧٧ هـ.

ـ برهان الدين محمد بن أبي الخير علي بن أبي سليمان ظفر الحمداني، المفسّر الواعظ، من اعلام أواخر القرن السادس، له كتاب «مفتاح التفسير».

ـ بهاء الدين بن يوسف بن أبي القاسم الديلمي المرفاني من أعلام القرن السابع، له كتاب تفسير القرآن.

ـ أحمد بن موسى بن طاوس أبو الفضائل جمال الدين، العلوي الحسيني المتوفى عام ٦٧٣ هـ له كتاب تفسير القرآن، اسمه «شواهد القرآن».

ـ محمد بن محمد الرازي البويهي، قطب الدين المتوفى ٧٦٦هـ تلميذ العلامة الحلي، له كتاب تفسير اسمه «بحر الأصداف» فرغ من تأليفه عام ٧٢٣هـ.

ـ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، صاحب القاموس المتوفى ٨١٧هـ له كتاب تفسير اسمه «تنوير المقباس من تفسير عبدالله بن عباس»، ويقع في أربعة أجزاء.

ـ عفيف الدين، طيفور بن سراج الدين جنيد، الحافظ الواعظ المفسّر، له كتاب تفسير، اقتصر في تفسيره على الأحاديث المروية عن الأئمة الطاهرين، وأكثر النقل فيه عن تفسير تفسير الفرات بن ابراهيم الكوفي، وأورد في آخره أحاديث

كثيرة في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وفرغ من تأليفه يوم الغدير عام ٨٧٦هـ

ـ ملا فتح الله بن ملا شكر الله بن ملا لطف الله الكاشي المتوفّى عام ٩٨٨هـ له كتاب تفسير بالفارسية اسمه «منهج الصادقين في الزام المخالفين» في خمس مجلدات، وله كتاب «زبدة التفاسير» بالعربية.

ـ كمال الدين الحسين بن الخواجة شرف الدين عبد الحق الاردبيلي، المعروف بالالهي المتوفّى عام ٩٥٠هـ له كتاب تفسير عرف بـ «تفسير الالهي» كما عرف بـ «تفسير الاردبيلي». وذكرت مصادر ترجمته أن هذا التفسير باللغة الفارسية لتمام القرآن الشريف، في مجلدين، وذكر أن الالهي هو أول من صنّف العلوم بالفارسية في عصر الصفوية. كما ذكر أن للمؤلف أيضاً تفسير عربي بهذا الاسم «تفسير الالهي» لكنه لم يتم.

ـ تقي الدين إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح الكفعمي، المتوفّى عام ٩٠٥هـ له مختصر تفسير علي بن ابراهيم القمي، وفي «الذريعة ـ للطهراني» أن اسمه «قراضه النظير وخلاصة التفسير»، وهو تلخيص مجمع البيان للطبرسي

ـ عبد علي بن جمعة الحويزي المولد، الشيرازي المسكن، المتوفّى عام ١٥٠٣هـ له كتاب تفسير يقع في أربع مجلدات فسّر فيه القرآن على ما صدر من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام

ـ فيضي بن المبارك الهندي، أبو الفضل المتوفي عام ١٠١١هـ له كتاب تفسير اسمه «سواطع الالهام»، وفرغ من تأليفه عام ١٠٠٢هـ وقد كتب هذا التفسير بحروف غير منقطة، وهو هذا الكتاب الذي تقدمه للقرآء.

ـ ملا يعقوب بن ابراهيم بختياري، المتوفي عام ١٠٤٧هـ له كتاب تفسير مختصر بالفارسية، وذكر أنه لا يتعدّى حدّ الترجمة.

ـ المولى محمد بن علي النجار التستري، المتوفّى عام ١١٤٠هـ من أعلام القرن، له تفسير كبير سمي بـ «مجمع التفاسير»، ويعرف هذا المفسّر بابن النجار المتأخر، للتفريق بينه وبين ابن النجار عيسى بن داود الكوفي الذي يروي عن الإمام الكاظم عليه السلام.

- أمير محمد بن إسماعيل بن أمير محمد باقر بن إسماعيل بن أمير عماد الدين محمد حسين خاتون آبادي الاصفهاني، المتوفّى عام ١١١٦هـ ويسمّى هذا التفسير باسم «تفسير الخاتون آبادي الكبير»، ويقع في أربعة عشر جزءً.

- المولى فرج الله بن محمد بن درويش الحويزي المتوفّى عام ١١٤٨هـ وعرف بأنه تفسير كبير.

- المولى الحكيم محمد حسين بن محمد مفيد القمي من أعلام القرن. له تفسير فارسي كبير عرف باسم «تفسير حكيم كوجك ملا حكيم».

- إسماعيل حقي، أبو الفداء الخلوتي المتوفّى عام ١١٣٧هـ من أعلام ومشايخ الصوفية الخلوتية في مدينة بروسه التركية. له كتاب تفسير سلك فيه مسلكا عرفانيا وأخلاقياً، يقع في عدة مجلدات.

- محمد بن محمد تقي، المعروف برضي الدين الحسيني، نجفي الأصل، من أعلام النصف الأول من القرن الثاني عشر، وكما وصف أنه تفسير مزجي يقع في عدة مجلدات

- بهاء الدين محمد بن تاج الدين الحسن بن محمد الاصفهاني، والمعروف بـ «مولا تاجا»، المتوفّى عام ١١٣٧هـ له تفسير بالفارسية سمّي «البحر المواج» كثير الفوائد، كما وصف.

- صبغة الله بن جعفر بن أبي إسحاق الموسوي الدارابي البروجردي النجفي المولد الحائري المدفن. وهو من تلامذة الشيخ صاحب الجواهر، والشيخ مرتضى الانصاري، له كتاب تفسير يقع في ثلاث مجلدات. وصف بأنه تفسير مزجي كبير فرغ من تأليفه عام ١٢٦٠ هـ اسمه «درة الصفا في تفسير أئمة الهدى»، ويسمّى أيضاً «بصائر الإيمان في تفسير القرآن»

- ملا علي بن قطب الدين البهبهاني، المتوفّى عام ١٢٠٦هـ له كتاب تفسير يقع في ثلاث مجلدات.

- المولى صالح بن آقا محمد البرغاني القزويني الحائري المتوفّى حدود عام ١٢٧٠، له كتاب تفسير اسمه «بحر العرفان ومعدن الإيمان في تفسير القرآن» يقع في

سبعة عشر مجلد، استقصى فيه مؤلفه الأحاديث المروية عن الائمة الأطهارعليهم السلام في التفسير، ويظهر من إشارة المرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني في خلال ذكر تفسيره (بحـــر العـــرفان) أن له أيـــضاً تـــفسير الوســيط، وتفسير الصغير.

- المولى محمد علي بن محمد كاظم بن الله آورد الخراساني الأصل الشاهرودي المتوفى ١٢٩٣هـ له كتاب تفسير.

- ملا غلام علي بن حاجي إسماعيل نهاوندي (وفي الذريعة: ٢ / ٤٣١ البهاونكري) من أعلام القرن الثالث عشر. له كتاب تفسير اسمه «أنوار البيان في تفسير القرآن» في أربع مجلدات باللغة الكجراتية

- محمد جعفر دادخواه الشيرازي من رجال هذا القرن. له كتاب تفسير اسمه «التفسير الشافي تلخيص المجمع والصافي» في ثلاث مجلدات

- عبد الحسين آيتي (آواره) له كتاب تفسير باللغة الفارسية في ثلاث مجلدات.

- أمير محمد صادق بن أمير أبو القاسم الخونساري المتوفى عام ١٣٣٣هـ له كتاب تفسير باللغة الفارسية

- ميرزا علي بن ميرزا محمد حسين الشهرستاني الحائري المتوفى عام ١٣٤٤هـ له تفسير باسم «البيان في تفسير غرائب القرآن» في مجلدين.

إن هذا عرض موجز لأعلام مفسري الشيعة الامامية الذين تناولوا تفسيراً كاملاً للقرآن، وتركت اسماء الكثير من المفسرين الذين اقتصر عملهم على بعض القرآن أو سورة أو الآيات الخاصة بآل النبي صلى الله عليه وآله، أو آيات الأحكام المختصة بالمواريث، أو علوم القرآن، لأن المقصود هو التفسير الكامل، وارجو الله سبحانه أن يقيض لهذا التراث القيم مَن يعمل على إخراجه الى النور.

ثانياً ـ من تفاسير الشيعة المطبوعة[1]

وحفلت مكتبة التراث الإسلامي بمجموعة كبيرة من تفاسير القرآن الكريم، وفي مختلف اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية، والاجنبية: كالانكليزية والافرنسية والالمانية، وغيرها مما قامت بطبعه المنظمات والجمعيات الإسلامية في شتى الأمصار والدول والمؤسسات المعنية بالدراسات القرآنية، والمنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي والعربي، ومن المفيد أن نذكر ما تيسّر لنا من معرفة لتفاسير الإمامية المطبوعة، اتماماً للفائدة، وسوف نسير على نفس الخط الذي أخذنا به في ذكر مشاهير المفسّرين الإمامية، منها:

١ ـ التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام

هذا التفسير يشار إليه في المصادر المختصة بأنه من إملاء الحسن بن علي العسكري عليه السلام (٢٣٢ ـ ٢٦٠ هـ)، برواية الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، المتوفّى عام ٣٨١هـ وقد طبع عدّة طبعات، أوّلها في طهران ١٢٦٨هـ.

٢ ـ تفسير القمي:

صاحب هذا التفسير الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، من أعلام علماء الإمامية في القرن الرابع الهجري، ومعاصر للإمام الحسن العسكري عليه السلام. طبع هذا التفسير بايران على الحجر عام ١٣١٣ هـ لأول مرة، ثم طبع مع تفسير العسكري مار الذكر، وكرر طبعه مستقلاً.

---

(١) نفس المصادر الاربعة المشار اليها في هامش (٣١) اعتمدناها في هذا البحث

٣ ـ تفسير العياشي:

أبو نضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي المتوفى عام ٣٢٠هـ. وقد طبعت هذا التفسير ـ في مجلدين ـ المكتبة العلمية الإسلامية في طهران.

٤ ـ تفسير ابن عباس:

عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى، أبو أحمد الجلودي، المتوفى عام ٣٣٢هـ تفسيره مروي عن الإمام علي عليه السلام. وتذكر بعض المصادر أن له تفسير آخر يرويه عن ابن عباس. وذكرت بعض المصادر أن تفسيرين لابن عباس ورد ذكرهما:

١ ـ تفسير ابن عباس عن الصحابة

٢ ـ تفسير تنوير المقباس من تفسير عبدالله بن عباس

وكلاهما للجلودي المذكور، وقد طبعا في أربع مجلدات في مصر عام ١٢٩٠هـ

٥ ـ تفسير فرات الكوفي:

فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي من أعلام القرن الرابع، تذكر المصادر بأن هذا التفسير يقتصر على الروايات عن الأئمة الهداة عليهم السلام. وقد روى هذا التفسير والد الشيخ الصدوق، أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى عام ٣٢٩هـ وقد طبعت هذا التفسير مكتبة الداوري ـ قم.

٦ ـ التبيان في تفسير القرآن:

أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المعروف بشيخ الطائفة، المتوفى عام ٤٦٠ هـ والمؤسس للجامعة العلمية في النجف الأشرف عام ٤٤٨هـ هذا التفسير يقع في عشر مجلدات، طبع للمرة الأولى في النجف الأشرف عام ١٣٧٦ هـ وتكرر طبعه.

٧ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن:

الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، المتوفى عام ٥٤٨ هـ من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس، ومن أعلام المفسّرين الشيعة. وهذا التفسير في عشرة أجزاء، وقد طبع لأول مرة طبعة حجرية في طهران عرف بطبع (ملا حسن)، ثم طبع في مطبعة العرفان بصيدا لبنان، وتكررت طبعاته.

٨ ـ جوامع الجامع:

وهذا التفسير أيضاً لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتقدّم الذكر، وهو مختصر مجمع البيان أو منتخبه، وألفه بعده، وطبع لأول مرة بطهران عام ١٣٢١ هـ، وتكرر طبعه. وله تفسير ثالث واسمه «الكافي الشافي» وهو الوجيز، مختصر الجوامع الذي هو الوسط، وألف بعده، والظاهر أنه لم يطبع

٩ ـ تبصير الرحمان وتيسير المنّان (تفسير الرحماني)

علي بن أحمد المهائمي الكوكني النوائتي المتوفى عام ٨٣٥ هـ المعروف بـ «مخدوم علي المهائمي» من أعلام أهل التفسير بالعرفان والأخلاق، طبع لأول مرة في دهلي عام ١٢٨٦ هـ ثم في بولاق ١٢٩٥ هـ

١٠ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان

نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي، المعروف بالنيسابوري، أو النظام الأعرج، من أعلام المائة الثامنة للهجرة، وصف تفسيره هذا بأنه تفسير معنوي ولغوي أيضاً لغرائب القرآن، وقد طبع للمرة الأولى في ايران في ثلاث مجلدات طبعة حجرية، وطبع في دهلي عام ١٢٨٠ هـ وطبع في مصر في حاشية «جامع البيان».

١١ ـ المواهب العلية، أو تفسير حسيني:

كمال الدين حسين بن علي الواعظ البيهقي السبزواري الكاشفي، المتوفى عام ٩١٠ هـ عرف بأنه من المتضلّعين بعلوم القرآن ومعارف التفسير في القرن التاسع

وأوائل العاشر الهجري، وقد وضع تفسيره هذا باللغة الفارسية، ويقع في جزئين، طبع في طهران بتحقيق وتقديم السيد محمد رضا جلالي.

١٢ ـ تأويل الآيات الظاهرة:

شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي، من أعلام القرن التاسع الهجري، طبعت هذا التفسير مؤسسة الإمام المهدي ﷺ في طهران سنة ١٤٠٨ هـ ثم في سنة ١٤٠٩ هـ أُعيد طبعه من قبل جامعة مدرسين في قم بتعليق وتصحيح الأستاذ ولي.

١٣ ـ جلاء الأذهان وجلاء الأحزان (تفسير كازر):

أبو المحاسن الحسين بن الحسن الجرجاني، من أعلام القرن العاشر الهجري، كتب بالفارسية، وقد طبع أخيراً بتحقيق السيد جلال الدين الحسيني الارموي، وطبع في عام ١٣٣٨ هـ في طهران في أحد عشر مجلداً.

١٤ ـ منهج الصادقين في تفسير القرآن المبين وإلزام المخالفين.

ملّا فتح الله بن ملّا شكر الله بن ملّا لطف الله الكاشاني، المتوفّى عام ٩٨٨ هـ باللغة الفارسية، طبع في ثلاث مجلدات لأول مرة في طهران عام ١٢٨٤ هـ ثم طبع في ثلاث مجلدات عام ١٢٩٦ هـ في تبريز، ثم طبع في خمس مجلدات عام ١٣١٢ هـ في تبريز، وأخيرا طبع في عشر مجلدات علّق عليه الأستاذ شعراني.

١٥ ـ تفسير القرآن الكريم، أو (مجموعة التفاسير):

محمد بن ابراهيم بن يحيى الشيرازي، المعروف بـ «صدر المتألهين»، المتوفّى عام ١٠٥٠ هـ وملّا صدرا معروف بمكانته العلمية وتضلّعه بالفلسفة والحكمة. وقد طبعته مؤسسة بيدار ـ قم عام ١٣٦٤ هـ ش بسبع مجلدات.

١٦ ـ تفسير نور الثقلين:

عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، من أعلام القرن الحادي عشر للهجرة، اعتمد في تفسيره على الروايات عن أئمة أهل البيت ﷺ، استقاها من

مصادرها الموثوقة، طبع هذا التفسير عدة مرات، وأخيراً طبعته مؤسسة اسماعيليان ـ قم بتحقيق الشيخ رسولي محلاتي في خمس مجلدات.

١٧ ـ غوامض القرآن وغريب القرآن:

فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرماحي المتوفى عام ١٠٨٥ هـ من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، صاحب المؤلفات الشهيرة، طبع هذا التفسير بالمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٣٧٢ هجرية

١٨ ـ تفسير شريف لاهيجي:

بهاء الدين محمد بن علي الاهيجاني من أعلام أواخر القرن الحادي عشر، طبع هذا التفسير في أربع مجلدات من قبل وزارة الأوقاف الايرانية ـ طهران تحقيق الدكتور المحدث الارموي والدكتور محمد آيتي ـ.

١٩ ـ تفسير الصافي:

محمد بن مرتضى، المعروف بملا محسن الفيض الكاشاني، المتوفى عام ١٠٩٠ هـ من أعلام الإمامية في هذا القرن، وصف بالمولى المحقق المحدث المفسر، له من التفاسير ثلاثة:

١ ـ الصافي، وهذا التفسير الكبير، وقد طبع عدة مرات بداية من عام ١٢٦٦ هـ في ايران والى الآن، وأخيراً طبع في خمس مجلدات.

٢ ـ الاصفى، تلخيص الصافي، وهو أوسط تفاسيره الثلاثة، وقد اقتصر فيه على تفاسير أهل البيت عليهم السلام، وقد طبع الاصفى على هامش الصافي في احدى طبعاته.

٣ ـ المصفى، تلخيص الاصفى ليسهل الاستفادة منه، والظاهر أنه لم يطبع.

٢٠ ـ البرهان في تفسير القرآن:

هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحراني المتوفى ١١٠٧

هـ من أعلام هذا القرن وتفسيره هذا طبع لأول مرة عام ١٢٩٥ هـ في طهران طبعة حجرية، كما طبع في مجلدين سنة ١٣٠٢ هـ جمع فيه شطراً كبيراً من الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات النازلة في بيتهم. كما له تفسير آخر اسمه «نور الانوار في تفسير القرآن». والظاهر أنه لم يطبع.

٢١ ـ المعين في تفسير الكتاب المبين:

نور الدين بن محمد بن شاه مرتضى بن محمد مؤمن بن مرتضى الشهير بنور الدين الأخباري المتوفى بعد ١١١٥ هـ. وتصف المصادر هذا التفسير بأنه موجز ومختصر. وقد طبعته أخيراً ـ في ثلاثة مجلدات ـ مكتبة المرحوم آية الله السيد المرعشي في قم بإشراف أمين عام مكتبة السيد المرعشي العلامة السيد محمود المرعشي، وتحقيق الأستاذ حسين دركاهي

وللمؤلف تفسير آخر اسمه «الكتاب المبين» تفسير لتمام القرآن. والظاهر أنه لم يطبع

٢٢ ـ كنز الدقائق وبحر الغرائب:

ميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المشهدي المتوفى في حدود ١١٢٥ هـ. وفي بعض المصادر سمّي هذا التفسير بـ «كنز الحقائق وبحر الدقائق في تفسير القرآن». وعرف هذا التفسير بأنه مقصور على ماورد عن أهل البيت عليهم السلام. نظير تفسير نور الثقلين. وقد طبع مؤخراً في عشر مجلدات بإشراف مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة مدرسين ـ قم.

٢٣ ـ الوجيز في تفسير القرآن العزيز:

علي بن الحسين بن محي الدين بن عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن أبي جامع العاملي، المتوفى في حدود ١١٣٥ هـ. وقد وصف هذا التفسير بأنه تفسير مزجي، ومختصر نافع كاف في معرفة ما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الإعراب، واختلاف القراءات. وقد طبع لأول مرة بأمر من الإمام السيد محسن الحكيم بإشراف مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف، وطبع مرة أخرى بتحقيق

ومراجعة الشيخ مالك المحمودي، في ثلاث مجلدات، وبإشراف دار القرآن الكريم ـ قم.

٢٤ ـ مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن:

أبو الحسن بن الشيخ محمد طاهر بن الشيخ عبد الحميد بن موسى بن علي ابن معتوق بن عبد الحميد الفتوني العاملي، المتوفّى أواخر الأربعين بعد المائة والالف، وقد يطلق على هذا التفسير اسم «مشكاة الأنوار». وصف بأنه تفسير حليل مقصور على ما ورد في متون الأخبار، وقد طبع المجلد الأول منه عام ١٣٠٣ هـ.

٢٥ ـ الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين:

عبدالله بن محمد رضا الحسيني الشبر الكاظمي المتوفّى عام ١٢٤٢ هـ له ثلاثة تفاسير:

أحدها ـ الجوهر الثمين، وهو تفسير على غرار الصافي. طبع أول مرة في دار الزهراء بيروت في ستة مجلدات. ثم طبعه مكتبة الالفين ـ الكويت ١٤٠٧ هـ.

ثانيها ـ الوجيز وهو مختصر الجوهر الثمين. وقد طبع عدة مرات في القاهرة، قامت بطبعه المكتبة الرضوية.

ثالثها ـ الوسط وهو «صفوة التفاسير» ولم يطبع.

٢٦ ـ آلاء الرحمن في تفسير القرآن:

محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهيم البلاغي النجفي، المتوفّى عام ١٣٥٢ هـ من علماء النجف وشخصياتها الفكرية، وضع عدّة مؤلفات دفاعاً عن الإسلام، باشر في كتاب تفسير، انجز منه جزئين، ولم تمهله المنية حتى إكماله. طبع عدة مرات، وأخيراً في قم.

٢٧ ـ الميزان في تفسير القرآن:

محمد حسين بن محمد بن محمد حسين بن ميرزا علي أصغر شيخ الإسلام الطباطبائي التبريزي من أعلام المفسّرين لهذا القرن، المتوفّى عام ١٩٨٢م، وقد طبع هذا التفسير عدة مرات في عشرين مجلداً.

والظاهر أن طبعة مؤسسة اسماعيليان للطبع والنشر قم ـ ايران هي الأولى، في عام ١٩٧٣م. وأشارت طبعة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ أنها الثانية عام ١٩٧٤م. والحقت بهذه الطبعة مجلد الحادي والعشرين بعنوان «دليل الميزان» يتضمن الموضوعات المختلفة التي بحثها هذا التفسير. وقد وضعه الأُستاذ الياس كلانتري بالفارسية. وترجمه الى العربية الأُستاذ عباس ترجمان. وطبع عام ١٩٨٥م. وقد ترجم هذا التفسير الى الفارسية من قبل الشيخ ناصر مكارم شيرازي.

٢٨ ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن:

عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي السبزواري المتوفّى عام ١٤١٤ هـ من مراجع الشيعة وشخصياتها العلمية، جمع بين الفقه والتفسير، صدر من هذا الكتاب حتى الآن عدة مجلدات وتوفيّ قبل أن يكمل طباعته. غير أن مؤسسة المنار للطباعة والنشر ـ قم مصممة على إكمال طباعة بقية أجزائه ان شاء الله.

٢٩ ـ البيان في تفسير القرآن:

أبو القاسم بن السيد علي أكبر الموسوي الخوئي، من مراجع المسلمين الشيعة العظام، المتوفّى ١٤١٣ هـ صدر منه الجزء الأول الذي يشتمل على مقدّمة وافية عن مواضيع متعددة تخصّ القرآن. ثم تفسير سورة الفاتحة طبع للمرة الأولى في النجف الأشرف. وطبع ثانية في بيروت ـ دار الزهراء للطباعة والنشر.

٣٠ ـ تفسير الكاشف:

محمد جواد مغنية، من أعلام الشيعة في لبنان، وكاتب مشهور، طبعت له عدة كتب في مواضيع متنوعة، منها فقه الإمام الصادق، توفي عام ١٩٨٠م. طبع هذا التفسير في سبعة أجزاء في دار العلم للملايين ـ بيروت عام ١٩٨١م.

٣١ ـ تفسير المبين:

محمد جواد مغنية، وهو تلخيص لتفسيره الكاشف، ويقع في مجلد واحد. طبع في بيروت دار الجواد للطباعة والنشر عام ١٩٨٣م.

٣٢ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:

ناصر مكارم الشيرازي من العلماء المعاصرين في حوزة قم العلمية، كتبه بالفارسية، وترجمه الى العربية محمد علي آذر شب، وطبع في عشرين مجلداً، بإشراف مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في قم عام ١٤٠٩ هـ.

٣٣ ـ تفسير تقريب القرآن الى الأذهان:

محمد بن محمد مهدي الشيرازي من العلماء المعاصرين، ثلاثون جزء، وطبع في خمسة عشر مجلد دار الوفاء بيروت عام ١٩٨ الطبعة الأولى.

٣٤ ـ تفسير القرآن الكريم:

مصطفى بن روح الله الخميني، المتوفى عام ١٩٧٩م، طبعته وزارة الارشاد الإسلامي في أربعة أجزاء، ولم يكمل بسبب وفاته.

٣٥ ـ مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن:

محمد باقر بن عباس الجويباري الناصري، من المعاصرين. طبع في بيروت عام ١٩٧٩م في ثلاث مجلدات.

٣٦ ـ تفسير المعين للواعظين والمتعظين:

محمد هويدي من المعاصرين، طبع في بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٨٧م

في مجلد واحد وتكرر طبعه.

وأكتفي بهذا القدر من ذكر التفاسير المطبوعة، فإن استقصاء ما طبع للشيعة الإمامية من تفاسير، ليس من مهمتنا خشية الإطالة، وما ذكرته هنا لا يعدو الاستشهاد بأن الإمامية الاثني عشريه كان لهم في هذا الميدان مجال كبير. ولكن الظروف القاسية التي مرت عليهم في تأريخهم القاسي أدى الى تشتت الكثير من نتاجهم الفكري، ومصدري فيما أشرت إليه من التفاسير المطبوعة هي نفس المصادر الأساسية التي اعتمدتها في البحث السابق.

وكيفما كان، أرجو أن أكون قد وفقت في عرضي الموجز عن التفسير والمفسّرين عند الإمامة.

الخـاتمة

بعد العرض الموجز للحديث عن التفسير والمفسّرين عند الإمامية فقد استفدنا من مجموع ما تقدّم مدى اهتمام المسلمين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بالدراسات القرآنية على اختلاف علومها، وحرصهم الأكيد على أن يكون لهم مجال واسع في كل ميادين علوم القرآن، وما أوردناه من بعض أسماء المفسّرين وتفاسيرهم المطبوعة خاصة، ليس على سبيل الحصر، وإنّما جاء اختياراً لبعض المفسّرين والتفاسير دون ملاحظة أسباب ومسببات اختياره.

وشيء آخر هو أننا اقتصرنا على ذكر التفاسير الكاملة، ولم نذكر مختصراتها كما لم نذكر تفاسير السور والآيات خشية التطويل، ويمكن مراجعتها في الكتب المجمعة التي أشرت إليها.

ولقد اطّلعت على ثلاثة كتب حديثة تناولت أسماء المؤلّفين والكتب المختصة بالدراسات القرآنية الخطية منها والمطبوعة، وهي:

١ ـ «مفسران شيعة» (بالفارسية) ـ للدكتور محمد شفيعي الأستاذ في جامعة طهران، طبع قبل ست وعشرين عاماً، جزء واحد.

٢ ـ «طبقات مفسران شيعه» (بالفارسية) ـ للدكتور عقيقي بخشايشي ـ عضو الهيئة العلمية الجامعية طهران ـ طبع مكتب نشر نوين اسلام ـ قم عام ١٣٧١ هجري شمسي، والمطبوع منه ثلاثة مجلدات حتى الآن، ولعله يكمل في خمس مجلدات كما يظهر من خلال مقدمة الكتاب.

٣ ـ «معجم الدراسات القرآنية عند الشيعة الإمامية» للخطيب الأستاذ السيد عامر الحلو ـ دمشق، في مجلد واحد، طبع دار الموسم للاعلام ـ

بيروت عام ١٩٩١م.

هذا بالإضافة الى الموسوعة الخامة المعروفة بـ«الذريعة الى تصانيف الشيعة» لمؤلفه المرحوم المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني في ٢٥ مجلداً. طبعت أخيراً كاملة في دار الأضواء ـ بيروت ذكر في حقل (تفسير) أكثر من خمسمائة مؤلف في هذه المادة.

وكذلك الكتاب القيم «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» للمرحوم المحقق الحجة السيد حسن الصدر، المطبوع في شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ـ بغداد. وأعادت طبعه بالاوفست على طبعة بغداد مؤسسة الاعلمي ـ طهران.

وهناك بحوث عديدة في هذا الصدد منتشرة في ثنايا الكتب والمجلات العلمية والأدبية. استفاد منها الاخ السيد الحلو في استعراضه لقراءة تعيين عنوان كتاب تفسير أو بحث أو دراسة في كافة علوم القرآن، ذكرها في معجمه المشار إليه.

وللاسف فقد الكثير من هذا التراث الضخم تبعة الحوادث الرهيبة التي تراكمت على هذه الأمة من الاعداء وقرصان العصور ورغم هذا فإن المكتبات العالمية الاسلامية وغيرها تحتفظ بالكثير من هذه الثروة القرآنية ونرجو الله سبحانه ان يقيض لها من يخرجها الى عالم النور.

تفسير سواطع الالهام .

إن علاقتي بكتاب «تفسير سواطع الالهام»، هذا الكتاب الذي نقدمه للقرّاء الكرام قديمة. فقد اطلعت عليه عند أخ عزيز كان قد حصل على نسخة مطبوعة على الحجر، حصل عليها من إحدى المكتبات الخاصة. واهتم بها نظراً لكون هذا النوع من الفن التفسيري من النوادر، اذ ليس من السهل أن يكتب مفسّر كل التفسير بكلمات غير منقطة. ولكن همة المؤلف «فيضي» الأديبة، وطموحه العلمي كان يأبى إلا أن يأتي بشيء جديد في عالم التفسير حتى وإن كان غريباً. فتحمس ما زاد. وطلبت من الأخ مالك الكتاب أن يتفضل به عليّ بغية إعادة طبعه ونشره حتى تطلب

وانتقلت الى المرحلة الثانية التي تقتضيها صنعة الإخراج. ومن خلال ذلك تكفل الأخ الجليل العالم المحقق الأستاذ الدكتور السيد مرتضى آية الله زاده شيرازي، أستاذ علوم القرآن، والحديث والأدب العربي، ورئيس فرع اللغة العربية بكلية الالهيات ـ جامعة طهران بالإشراف على تحقيقه وإعداده للطبع. فكان مشكوراً المهمة. وقد ألف لجنة تقوم بالعمل يشرف بنفسه عليها، وهم من أهل الاختصاص في علوم القرآن ـ كما أشار اليهم في نهاية مقدمته القيمة. وبعد فترة من الزمن انجز المشروع، وحقق المطلوب.

وكانت المرحلة الثالثة وهي طبع الكتاب. وقد تهيئت الإمكانات المقتضية لطبعه. وتبنّى الإشراف على الطبع والإخراج ـ أيضاً ـ الأستاذ الدكتور السيد مرتضى مع وضع مقدمة ضافية قيمة، ضمنها سواطع ثلاثة: الأولى عن الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية في الهند باعتبارها وطن المؤلّف، الثانية عن نسبه، والثالثة عن حياة المؤلف.

أخيراً فارجو أن تفي كلمات الشكر والتقدير للجهد الذي بذله الأخ العلامة الأستاذ الدكتور السيد مرتضى آيت الله زاده شيرازي، والإخوة الأفاضل الاساتذة الأجلاء في تحقيق هذا التفسير الفريد من نوعه في عالم المكتبة التفسيرية، وإخراجه بهذه العناية الفائقة.

كما واقدم جزيل الشكر للقائمين على مؤسسة المرحوم الحاج محمد رفيع معرفي الخيرية الثقافية على تعاونهم معنا في اصدار هذا السفر الجليل. كما و كثر أهتمامهم لطبع التراث الاسلامي لانتفاع المسلمين به، وفقهم الله لذلك، وشكر سعيهم المقدر.

كما واشكر كل الذين ساهموا في طبعته هذه، خاصة دار مؤسسة المنار للطباعة في قم، راجياً من الله سبحانه أن يوفق الجميع لاحياء التراث الإسلامي وهو وليّ التوفيق.



تعريف عام

عن الأجواء التي عاش فيها المؤلف وعن حياته وثقافته

قدمها:

د. السيد مرتضى آية الله زاده شيرازي



المقــدمة

تشتمل على:

الساطعة الأولى

1 ـ الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية العامة في الهند على عهد المؤلف

2 ـ انتشار الإسلام في الهند.

3 ـ الأباطرة المغول المسلمون في الهند

أ ـ ظهير الدين بابر.

ب ـ ناصر الدين محمد همايون.

ج ـ جلال الدين محمد أكبر شاه.

4 ـ الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية على عهد أكبر شاه.

5 ـ الحركة الفكرية في الهند على عهد أكبر شاه.

الساطعة الثانية

أسرة المؤلف

جده، أبوه، وإخوته

أ ـ الشيخ خضر اليماني

ب ـ الشيخ مبارك

ج ـ الشيخ أبو الفضل الناكوري الوزير.

د ـ باقي إخوته ...

الساطعة الثالثة

ترجمة حياة المؤلف:

آ. أساتذته:

ب. نشاطه السياسي والعلمي والثقافي:

ج. ثقافته، خصائصه:

د. مذهبه الشيعي الإمامي الاثنا عشري:

هـ. مؤلفاته:

و. وفاته:

ز. المصحح الكتاب:

المطالعة الأولى

1 ـ *الحالة السياسية والاجتماعية والثقافة العامة في الهند على عهد المؤلف*

عاش الفيضي في فترة حافلة بالأحداث والتطورات السياسية، وشهد تقسيم العالم الإسلامي إلى العديد من الدول، وعاصر بعض الملوك المشهورين في تاريخ الهند الإسلامية، وشاهد آثار الحياة السياسية العاصفة في شتى جوانب الثقافة والاجتماع والآداب.

فقد عاصر الفيضي أباطرة المغول المسلمين في الهند، وكانت الهند حينئذٍ في حالة تفكك وتقسيم من الناحية السياسية، فكانت العصبية تسيطر على أفكار الحكام والولاة والعلماء، وكان النزاع بين الإمارات الهندية مستمراً، فأخذت دولة أباطرة المغول في بناء صرح سلطنتهم، ودفع المنافسين والأعداء، وامتدت إمبراطوريتهم إلى أغلبية القارة الهندية فاستعادت الهند مكانتها السياسية بين الدول.

وكان الأباطرة محبين للفضل والأدب والفنون، مشهورين بإكرام العلماء والأدباء.

وكان المجتمع الهندي في عصر الفيضي يتألف من عدة عناصر أهمها العنصر الهندي والعنصر الفارسي والعنصر العربي والعنصر التركي.

فالعنصر العربي هو الذي جاء بالإسلام إلى الهند. وأمّا العنصر الفارسي فقد كان له النفوذ الثقافي بعد الفتح الإسلامي.

وتأثرت الهند بالثقافة الفارسية الإسلامية منذ القرن الثالث، وكذلك تأثر

الأدب الفارسي بالأسلوب الهندي المتميز.

وكان النزاع العقائدي بين الطوائف المختلفة والأديان على قدم وساق، لا سيما بين السنة والشيعة، وكأن النظام الطبقي، كما كانت الفوارق بين الطبقات الخاصة والعامة وبين أرباب الديانات شديدة جداً، وكان الاقطاع والثراء في أيدي قلة قليلة من الناس مما تبعه المغالاة في الترف واللهو وتشييد القصور.

فنفقات البلاط بلغت حداً لا يطاق، وكان العسف بالناس لأخذ الضرائب منتشرا.

أما الفنون فإنها لا تنمو إلا بتشجيع السلطان والأمير، وكثيراً ما كان الفنانون والشعراء يفدون على الأمراء ويتقربون إليهم ويتمتعون بجزيل عطاياهم، وكذلك العلماء كانوا منقسمين إلى قسمين:

علماء البلاط، الذين يتصلون بالسلاطين ويتعلّقون في المناصب، وقسم ابتعدوا عن القصور.

وفي هذا الإطار العام للمجتمع الهندي قد اكتمل نشأ الفيضي واكتملت مواهبه.

وبعد هذا التصوير العام عن المجتمع الهندي نعرج إلى بيان التفاصيل

رُغم قيامُ امبراطورية المغول الإسلامية في الهند مركز الإسلام، كقوةٍ حربية ودينية وثقافية لها حسابها في العالم في القرن السادس عشر الميلادي، وكان لقيامها أعظم الأثر في تمكين أصول الإسلام في الهند وتعميق جذوره الأولى، وهو ما يشهد به التراث الفكري والفني الهائل الذي خلّفه أباطرة المغول في الهند، أمثال همايون وأكبر وجهانگير وشاه جهان واورنگ زيب.

وهذه الحضارة تعتمد أساساً على تقاليد مغولية فارسية وتركية، وتعتبر امتداداً لحضارة المغول في العصر التيموري التي كانت قد اتسمت بوضوح شخصيتها وجدّتها وأصالتها.

الدول الإسلامية

وفي القرن السادس عشر اصطدمت القوى التركية العثمانية بقوى دولة المماليك وورثت ملك المماليك، وانتزع العثمانيون منذ ذلك الحين لقب الخلافة وأصبحوا بهذا يسمّون أنفسهم خلفاء للمسلمين بعد أن كانوا سلاطين على دولتهم التركية. وامتدّ سلطانهم حتى شمل بلاد العرب واليمن في آسيا والجزائر وتونس وطرابلس في افريقيا إلا المغرب الأقصى.

وفي أوائل هذا القرن أيضاً، قامت دولتان إسلاميتان جديدتان في القسم الشرقي من العالم الإسلامي

الأولى هي الدولة الصفوية الشيعية في ايران على يد الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م)، وقد ضم إليه العراق وديار بكر بالإضافة إلى بلاد فارس وخراسان جميعاً. وامتدت حكومتهم من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر. واتخذ تبريز عاصمة له

أما الثانية فهي دولة أباطرة المغول في الهند. ومؤسس هذه الدولة هو (بابر شاه) من سلالة تيمورلنگ. ظهير الدين محمد (٩٣٢ ـ ٩٣٧ هـ ق = ١٥٢٦ - ١٥٣٠ م)، وقد خلفه من نسله عدد من الاباطرة من أمثال همايون. أكبر. وجهانگير وشاه جهان واورنگ زيب، ثم خلف من بعدهم من ملوك ضعاف فظلّت الدولة قائمة إلى أن انتهت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي

فهذه ثلاث دول اقتسمت الحكم في العالم الإسلامي في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر.

٢ـ دخول الإسلام الهند وانتشاره فيها

لقد دخل الإسلام الهند على أيدي عناصر مختلفة، وبأسباب متفرقة، ومن الطرق التالية:

١ـ طريق تجار العرب من السواحل الجنوبية والغربية إلى سواحل (مالابار) وخليج (كامبايه) cambay في گجرات ونواحي دكن (آندرا)

وكان العرب والفرس قبل الإسلام واسطاء في المقايضات التجارية الهندية التي الواردة براً عن طريق فارس، وكانوا على معرفة غير قليلة بالهند وأحوالها.

٢ـ طريق السند وكان دخوله عن هذا الطريق مع جيش القائد الشاب الفاتح محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هـ ق ٧٠٥١ ـ ١٥١ م)، حيث دخلها وحطم ما بقي من معابدها من أوثان وأصنام. وظلت هذه الإمارة كلها وجنوب البنجاب تابعة للخلافة، وعن طريقها انتشر الإسلام رويداً رويداً في المناطق الهندية المجاورة

ولقد وفد على السند أفواج من القبائل العربية التي كان قوام جيش الفتوح في العالب منهم، فاستوطنوا هذه البلاد ثم اصهروا إلى أهلها بعد قليل، حيث كانت لهم مشاركة ناجحة في نشر تعاليم الدعوة الإسلامية والعربية ـ لغة وكتابة ـ بين السنديين بفضل من حكامهم وأمرائهم من المسلمين، فلم يمض بضع عشرات من السنين على فتح السند حتى طفقت أفواج من أهله تترى في بناء الثقافة الإسلامية وتبرز في ميادينها، فكان منهم علماء في الحديث واللغة والأدب مثل صاحب المغازي أبي معشر نجيح السندي، وابن الاعرابي اللغوي، وأبي عطاء السندي المخضرم الشاعر، ثم أبي علي السندي وأبي اليزيد طيفور ابن عيسى البسطامي[1]

---

(١) ضحى الإسلام احمد امين ص٢٥٢ ـ ٤٤٢

وقد جنى العرب بدورهم من فتحهم هذا كسباً عظيماً للثقافة الإسلامية وأخذوا عن الهنود من فنون المعرفة وألوان الحضارة ما بهرهم[1].

٣ ـ عن طريق غزوات محمود الغزنوي (مات ٤٢١ هـ ق ١٠٣٠)، (تتويجه عام ٢٨٧ هـ ٩٩٧ م)، والذى غزى الهند خمس أو سبع عشرة غزوة كانت الأُولى (عام ٣٩١ هـ ق = ١٠٠١ م)، والأخيرة (٤١٦ هـ ق ١٠٢٥ م).

وفي تاريخ العُتبي وابن الأثير وصف تفصيلي لفتوحاته وللنفائس التي غنمها من معبد (سومنات)، وأنه كان من أعظم سلاطين المسلمين، حيث قصد بلاطه العلماء والشعراء، وبموته طوي ملكه.

وتوالت على الهند دول إسلامية كثيرة[2] إلى أن كان القرن السادس عشر الميلادي ـ وباستثناء الفتح الأول الذي قاده الثقفي ـ قامت جيوش وعناصر غير عربية من الترك والفرس والمغول. وهذه ناحية هامة في دراسة الإسلام في الهند، فإن معظم هذه الجيوش والعناصر والدول ـ التركية المغولية ـ كانت في معظمها حديثة عهد باعتناق الإسلام، وقد تقمصت الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية والمغولية، ولهذا انتشرت في الحكم الإسلامي بالهند اللغة الفارسية (لغة الثقافة في ذلك العصر) واللغة الاوردية، ولم تنتشر اللغة العربية كما كان سابقاً، وبالتالي لم تزدهر الثقافة العربية في الهند ازدهارها في الأقاليم والدول الإسلامية، وساعد على هذا أن معظم الفقهاء والشيوخ والشعراء والخطباء الذين وفدوا على الهند كانوا من علماء ما وراء النهر وايران ولغتهم الاثيرة لديهم هي اللغة الفارسية.

---

(١) havell . pp. 254 - 55 بـ تاريخ الفلسفة الإسلامية دى بور ترجمة الدكتور ابوريدة القاهرة ١٩٣٨؛ بدء العلاقات بين العرب والهند دكتور السيد محمد يوسف الهدى مطبعة كلية الاداب بجامعة القاهرة م١٢ ج ١ سنة ١٩٥٠ ص١٠٤.

(٢) من مثل. الغورية، الخلجية، المماليك، آل تغلق، ملوك الطوائف، أسرة السادات، اللودهيون.

ولكن هذا لا يعني أن علماء الهند ـ من أبنائها ـ لم يتقنوا اللغة العربية، أو لم يعرفوا المؤلّفات العربية، بل لقد عرفوها وانتشرت بينهم اللغة العربية وتعلّمها كثيرون منهم وألّفوا بها، وتشهد بذلك المكتبة الهندية الغنية بالتراث العربي الإسلامي.

وقد أشرنا من قبل أنه قد توالت على الهند منذ أن دخلها الإسلام دول إسلامية كثيرة متعاقبة، كانت دولة الاباطرة المغول آخرها وأهمها وأوسعها ملكا وأطولها عمرا وأرقاها حضارة، وهي الدولة الراقية التي نشأ وترعرع فيها أبو الفيض، وارتوى من نبعها وأخذ يتقلّب في المناصب العالية المادية والمعنوية، وقد تأثّر من هذه الدولة وأثّر فيها هو أيضاً

ومن هذا المنطلق ولأجل أن نتعرّف على شخصيته وبيئته والعوامل المكونة لها، ينبغي أن نذكر ـ باختصار ـ دول هذه الاباطرة وملوكها، ودورهم في تنشيط الثقافة والفكر.

٣ ـ اباطرة المغول الإسلامية في الهند

أ ـ ظهير الدين محمد [بابر]

فأول من نبدأ بذكره هو الكاتب والشاعر ظهير الدين محمد (بابر) (٨٨٨ ـ ٩٣٧ هـ ـ ١٤٨٣ ـ ١٥٣٠ م). ففي عام ١٥٢٥ م حينما كان الأفغان يستولون على الهند توجه بابر لغزو البنجاب فدلهي، فكانت معركة (باني بت) التي انتهى فيها حكم الافغان ووضعت حداً لتطاولهم على الهند، وكانت ايذانا لظهور عصر جديد وبداية للحكم المغولي.

كانت الأحوال السياسية والظروف الاجتماعية حينذاك سيئة للغاية، فكانت الانقسامات والدسائس والمؤامرات والفوضى والتكالب على الحكم تسود المجتمع الهندي

وكانت انتصارات بابر في الهند بمثابة ضربة قاضية على القوى المعارضة الأفغانية وسلطة الراجبوت القوية، فامتدت مملكته من جبال الهملايا في الشمال إلى گواليور (گواليار) في الجنوب، ومن البنجاب في الغرب إلى حدود البنغال في الشرق، ولكن المنية لم تمهله حتى يرى مدى انتصاراته على أيدى جنده.

حكم بابر الهند مدة تقل عن خمس سنوات، وحكمه امتاز بالنشاط والحزم والعزيمة وتعمير البلاد وتوسيع نطاق العمران وتأسيس المساجد ونظام البريد، وما إلى ذلك من ضروريات الحضارة والثقافة. ووصيته لابنه همايون تبين بوضوح سياسته في الحكم ـ والتي التزم بها من بعده ابنه همايون ـ والتي كانت الأساس الأول لسياسة التسامح في الحكم المغولي في الهند.

آثاره الثقافية: وقد ترك بابر ـ فيما ترك ـ من التراث الثقافي ما يلي:

١ ـ بابرنامه: وهو كتاب ذكر فيه كل ما مرّ عليه في حياته ـ ماله وما عليه ـ

ولم يترك أية ناحية من نواحي حياته منذ شبابه حتى آخر حياته إلا وقد ذكرها في هذا الكتاب ـ إلا فترة قصيرة ـ فبذلك يعتبر الكتاب سجلاً تاريخياً هاماً في تأريخ المغول، وقد حررها باللغة التركية الجغتائية.

٢ ـ عروض رسالة سي (رسالة في العروض). باللغة الجغتائية، ذكر فيه من الأوزان الرائجة في النظم الفارسي والتركي، ألفه ٩٣٢ أو ٩٣٤ هـ ق.

٣ ـ مُبيَّن: مثنوى في بحر الخفيف المخبون (فَعلاتن مفاعلن فَعِلُنْ) في ٩٢٨ هـ ١٥٢١ م وقد تعرض في هذا الكتاب للمسائل الفقهية على المذهب الحنفي، وكذلك تعليمات عن ترتيب الجيش وفنون الحرب.

والكتاب تعليمي أكثر من أن يكون فنياً، وإلى العهد الأخير كان المؤرخون يسمونه (مُبين)، ولكن المؤرخين المحدثين مثل أبي الفضل العلامي ... يسمونه (مُبيَّن)، وشرح ... يسمي الكتاب (الفقه البابري). ولكن حقيقة أن (مبين) تفسير لذلك الكتاب، وشبلي نعماني هندي سماه (فقه مبين).

٤ ـ ترجمة رسالة والدية، مؤلف الكتاب هو الخواجه عبيدالله الاحرار شوقي ومرشد للتيموريين، وقد ترجم بابر الرسالة عام ٩٣٥ هـ ١٥٢٩ م إلى اللغة التركية الجغتائية. والحق فعلا تدوين بابر هذه الرسالة تشتمل على ٢٤٣ بيتاً في بحر الرمل، نشرها كوربلي على أساس نسخة اسانبول.

٥ ـ ديوان الشعر: القسم الأكبر من الديوان باللغة التركية، وفيه أبيات باللغة الفارسية، ويشتمل على أنواع الشعر من الغزل، المثنوي، القطعة، تيوغ، العاز ومفردات.

ولم تكن قدرة بابر الشعرية تقل عن قدرة أي شاعر تركي جغتائي في القرن التاسع الهجري، وقد نظم عشرين قطعة باللغة الفارسية، وينبغي أن نضع بابر في طبقة شعراء الترك بعد الشاعر (نوائي)[١].

---

(١) ـ بابرنامه الطبعة الأولى ١٨٥٧ م وقد ترجمه إلى الفارسية في القرن السادس

كان بابر شغوفاً بالأدب والشعر، حيث كان أثناء معاركه يختلس بعض الوقت ليقضيه في الإصغاء لانشاد الشعراء، أو مناقشات الجهابذة من العلماء، وكثيراً ما كان يدلى هو بدلوه مع الشعراء، وفي عهده ارتق فن التصوير والموسيق وتوضيح الكتب بالصور، وفن تنسيق الحدائق.

وقد شهد بلاطه حشداً كبيراً من الأدباء والعلماء والمؤرخين مثل (خوند مير) و(شهاب الدين) الشاعر و(مير إبراهيم) و(الشيخ ماري) و(الشيخ زين خافي) و(مولانا باقي). وإذا استعرضنا تاريخ آسيا نجد أن عدداً قليلاً من الأمراء استطاع أن يتطاول إلى مكانه أرفع من مكانة بابر في عبقريته وثقافته الواسعة.

وإن كان من الجائز أن يرتقي حفيده (أكبر) مكانه أعلى من مكانته في سياسته الحازمة الحكيمة.

ب ـ ناصر الدين محمد همايون [٩٦٣ هـ ـ ١٥٦٦ م]

بعد وفاة أبيه (بابر) بيومين ارتقى همايون عرش أبيه، ولم يُقدّر لهذا الملك الجديد أن ينعم بملك مستقر هادئ، فقد سبّب له تقسيم البلاد بين إخوته الأربعة (حسب وصية أبيه) المتاعب وظهور الدسائس والمؤامرات التي قام بها هؤلاء الإخوة فيما بعد. ولم يبق في الملك طويلاً، ولم يمنح من الذكاء والقوة بحيث يستطيع أن يديم ما أنجزه أبوه، فأصبحت الهند في حالة سوء، فهناك منافسوه، وكذلك كان إخوته من القوة بحيث يستطيعون أن يتطلعوا إلى عرش أبيهم.

وفي نهاية المطاف التجأ إلى ايران حيث بلاط الشاه طهماسب الصفوي، حيث استقبله استقبالاً ملكياً يليق بمكانته. وبمساعدات الشاه الصفوي (مقابل

عشر الميلادي عبدالرحيم ميرزا خان خانان وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية ١٨٢٦ لندن وإلى الفرنسية ١٨٧١ باريس وله ترجمة أخرى بالفارسية من حسن پاينده رك: دانشنامة جهان اسلام، دائرة المعارف اسلامي.

اشاعته المذهب الشيعي) استعاد همايون ملكه وعاد إلى الهند عام ١٥٥٥ م.

وكان كأبيه شغوفاً بالفنون والعلوم والآداب، وقد ترك فيها ترك مكتبة عامرة بالمؤلفات القيمة لازال بناؤها قائماً بدهلي حتى اليوم. وكان رجلاً ديناً كمسلم صادق الإسلام. وحبه العميق واحترامه الشديد لأهل البيت عليهم السلام يدل على أنه كان ذا ميول شيعية، ويؤيد هذا الأدعاء أن الإدارة الحكومية في عصره كانت في معظمها في أيدي رجال الشيعة.

م ـ جلال الدين محمد أكبر (أكبر شاه) [٩٤٩ هـ.ق ـ ١٠١٤ هـ.ق] [١٥٤٢م ـ ١٦٠٥م]

خلف همايون (بعد وفاته) ابنه (أكبر) ولم يكن إذ ذاك يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، ويقسم المؤرخون مدة حكم أكبر التي طالت حوالى ٥٠ سنة ـ من عام ٩٦٣ هـ/١٥٥٦م حتى عام ١٠١٤ هـ/١٦٠٥ م ـ إلى فترات ثلاث

الفترة الأولى: هي التي كان زمام الحكم الفعلي بأيدي الوزير الشيعي المحنك المجرب (بيرم خان) ـ الذي أقصاه لمدة محدودة، وكان خير معين له ـ حتى حين اغتيال هذا الوزير

أما الفترة الثانية: فهي الفترة التي حاول فيها بعض المشايخ المتزمتين المتعصبين وبعض نساء القصر إملاء رغباتهن على السلطان الشاب، وذلك بعد إفلاحهن في إقصاء بيرم خان ـ التركماني المولد والشيعي المذهب ـ بالدس والوقيعة من منصبه بسبب تشيعه.

والفترة الثالثة: هي التي انفرد فيها (أكبر) بالحكم كله، وهي أطول هذه الفترات جميعاً، إذ امتدت من عام ٩٦٩ هـ / ١٥٦٢ م حتى وفاته عام ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م).

ولما شاهد أكبر محاولات وزيره للقضاء على أعداء الملك ندم على فعلته فأعاده وأنعم عليه بلقب خانِ خانان وجعله وكيلا للسلطة وزوّجه بابنة أخته

(سليمة سلطانة بنت أخت همايون)، وكان خان خانان الوزير الشيعي يولي المناصب الرفيعة الحكومية أبناء مذهبه، ومن هذا المنطلق قامت نساء القصر وعلى رؤوسهن أم الملك في تعكير الجو ضد الوزير الشيعي حتى اضطر أن يذهب إلى زيارة بيت الله الحرام بإيعاز من الملك (أكبر)، وفيما كان بيرم خان يجتاز الكجرات عام ٩٦٨ هـ ١٥٦١ م اغتاله رجل افغاني.

٤ـ الحالة السياسية والاجتماعية والدينية على عهد أكبر شاه:

عندما ارتقى أكبر عرش آبائه المغول كان عرش دلهي قد أصبح كالكرة تتداولها أيدي الأفغان والمغول، ولم تعد المملكة إلا تعبيراً جغرافيا أو مجموعة من الولايات.

كما غدت السيادة على الاقليم الشمالي الغربي من الهند موضع نزاع بين سكندر سور ومحمد عادل شاه، وفي نفس الوقت كان (همو) بطل الهندوس قد أحرز لنفسه بطولة فائقة بانتصاره في معارك كثيرة، وقبل أن يتقدم بيرم خان للنجدة كانت (اگرا) قد سقطت بيده، وسيطر على دلهي وضرب العملة باسمه

وكانت إمارة بنگال يسيطر عليها أمراء الافغان، وكانت (مالو) وگوگرات - گوجرات) قد فقدا الصلة بينها وبين الحكومة المركزية، وكشمير والسند وبلوچستان قد تخلصت من كل نفوذ خارجي، وكانت سلطنة دكن في (احمد دكن) و(بيجابور) واگولكونداوبر (خاندش) و(برار) تتولى الحكم فيها سلاطينها الذين كانوا في نزاع دائم، وكانت قوى البرتغال تسيطر على مياه البحر العربي والخليج الفارسي، كما امتد نفوذهم على سواحل الهند الغربية واستولوا على موانئه الهامة، وخاصة جوا goa وديو diw .

تلك كانت حالة الهند عندما ارتقى (أكبر) عرش اباطرة المغول وكان من حسن طالع هذه الأسرة أن وجد في تلك الفترة إلى جانبه (بيرم خان)، فقد بذل أقصى جهده لمساعدة سيده وتدعيم ملكه، وفي النهاية تمكن الملك أن يتربع على العرش لمدة نصف قرن، ويُخضع المطالبين بالملك ويطرد المنافسين، وادرك أن حكومته يجب أن ترتكز على أساس متين من الحب بغض النظر عن المعتقدات والنحل العديدة لدى الشعب، فلهذا بدأ أكبر يعقد احلافاً قائمة على الزواج وصلات النسب وإباحة المناصب الكبيرة للروجبوت وبقية الهنود، وتغاضى عن الفروق الدينية، فأتاح لجميع رعاياه حرية العقيدة والرأي وألغى ضريبة الجزية وساوى في معاملته ـ في الظاهر ـ بين المسلمين والهندوك، وكثيراً ما كان يختلط بهم.

كان (أكبر) شديدة العناية برفاهية رعاياه، وقضى على كثير من الفساد، فمنع زواج الأطفال، وحارب عادة حرق الأرملة حية مع زوجها الميت، ودعا لمحاربة التمييز بين الطبقات، ونشر التعليم، ففي عهده كان المسلمون والهنود يدرسون جنباً إلى جنب، وبهذه السياسة الحكيمة استطاع أن يضمن ولاء شعبه وحتى ولاء اعدائه.

وانشأ (عبادت خانه) في (فتحبور) ليجتمع فيها رجال الفكر للمداولة والمناقشة وتصويب أفضل الآراء.

ارسل دعوة إلى السلطات البرتغاليه في goa أن يرسلوا إلى سلاطه إرساليات دينية لمعرفة أسس الديانة المسيحية وفلسفتها، وطمعاً لاعتناقه المسيحية أرسلوا إليه الإرساليه الأولى عام ١٥٨٠، والإرساليه الثانية ١٥٩٠ وبعدها الإرساليه الثالثة، ولكن المحرمه فشلت ولم تستطع الأولى أن تؤثر في إيمان أكبر، والإرسالية الثانية عادت تجر كأحتها أذيال الفشل، والثالثه أحرزت نجاحاً سيئاً في أن تقوم بالتبشير (إن استطاعت) كما حصلت على بعض الامتيازات التجارية فقد انخدع البرتغاليون وعقدوا عليه الآمال الكبار، فقد كان الهدف الذي هدف اليه أكبر هدفاً سياسياً لأنهم كانوا يملكون مدفعية ضخمة في goa، وكان هو يطمع في مساعدتهم ضد قلاع asirgrh سيرگره ضد ابنه سليم الذي خرج عليه في عام ١٥٥٦م وورث أكبر عرش الهند فكانت مملكته مقسمه مفككه، ولكن عند موته ترك لخلفه امبراطورية كبيرة مترابطة الوحدة مترامية الأطراف، في سنة ١٦٠٥م كان أكبر الحاكم الوحيد لكل شمال الهند، وامتدت امبراطوريته في الشمال الى جبال هيملايا وكانت تضم ١٨ ولاية كبيرة.

٥ ـ الحركة الفكرية في الهند

برغم أن أكبر ينحدر من أسرة امتازت بالثقافة المتوارثة فيها، فقد كان في حياة أبيه ـ في الغالب ـ محروما من قدر وافر من التعليم في الصغر، فشب ولم يكن يحسن القراءة والكتابة، ومع ذلك فقد فاضت حياته الطويلة بالنشاط العقلي، إذ كان قوي الملاحظة كلفاً بالمعرفة، فتعلّم عن طريق التلقين مكتفيا بالاصغاء والتأمل، وكانت ذاكرته قوية تستوعب كل ما كان يُقرأ في حضرته من الكتب القيمة التي جاوز عددها في مكتبته الخاصة أربعاً وعشرين ألفاً

ولقد ولد أكبر عن أب سني وأم شيعية، وبي بعض أمراء من الهادكة، وطفق لا يشغل نفسه إلا بعلوم أهل السنة، حتى التقى بالشيخ مبارك بن خضر وولديه أبي الفيض فيضي والشيخ أبي الفضل ـ الذين سنتحدث عنهم ـ وكان ثلاثتهم من المشتغلين بعلوم الحكمة والفلسفة والمعارف الشيعية، ففتحت عيناه على كثير من المسائل الفلسفية والأسرار الصوفية ودعوه معهم في طريقهم، طريق البحث عن الحقيقة ومحاولة الوصول إلى الحق المجرد.

إن عصر أكبر مار بالنشاط العقلي، حيث كان يتدارس فيه العلماء والمحدثون والقراء ورجال الدين وصفوة رجال الدولة كتاب الله الكريم وعلوم التفسير والحديث ومسائل الفقه والتصوف والفلسفة

ومن الأسباب التي هيّأت هذا المناخ والظروف الملائمة لاستعراض هذه العلوم وتنشيط الحركة الثقافية والعقلية، هو قدوم جماعة من العلماء في مراحل مختلفة إلى الهند، ففي القرن الثاني قدم الهند عن طريق كرمان إلى نواحي السند أبو حفص بن ربيع بن صبيح الأسدي البصري، وهو من كبار المحدثين، ويروي عن الحسن البصري، ومات هناك عام ١٦٠ هـ.

وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) توجه حسين بن منصور الحلاج

البيضاوي عن طريق البحر نحو الهند، وتركها عن طريق البر وبنجاب وآسيا المركزية إلى العراق[1].

وكذلك هاجر إلى الهند شيخ البهرة (أمير نورالدين) مع جمع من مريديه، وبث هناك أصول أفكاره في الجنوب والغرب من الهند.

وكذلك في القرن الخامس نرى في المصادر اسم أحد المحدثين المهاجرين من بخارا إلى لاهور، وهو شيخ الإسلام اسماعيل البخاري. وفي سنة (٤٤٨ هـ ق) علي بن عثمان الهجويري الغزنوي، مؤلف كشف المحجوب الذي هاجر من غزنين إلى لاهور (هـ ٤٦٩ هـ).

في هذا القرن (القرن الخامس الهجري) أحدث قوافل العلماء والفقهاء والمحدثين تتجه صوب الهند، وقد تركوا في تأريخ الثقافة الإسلامية الهندية أثراً عظيماً. ولا تتسع هذه المقالة لإحصاء جميع العلماء والمشايخ الذين جاءوا إلى الهند عبر حدود إيران. ونذكر على سبيل المثال نفراً قليلاً من الرجال والمشايخ والمشهورين الذين كان لهم قدم راسخ في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في الهند.

خواجه معين الدين جشتي (٦٣٣ هـ ق = ١٢٤٣م)، والخواجه قطب الدين بختيار كاكي (٦٣٤ هـ ق)، الشيخ جمال الدين گيلي الغزنوي المحدث (٦٥١ هـ ق)، شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا مولتاني (٦٦١ هـ ق)، الشيخ فريد، مولانا جلال الدين تبريزي من خلفاء شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي، حسن بن محمد الصغاني (محدث ومتشرع) (٥٠٧ هـ ق)، مولانا عماد الدين غوري (٧٥٠ هـ ق)، مير سيد علي همداني (صوفي) (٧٧٦ هـ ق)، الشيخ برهان الدين محمود بلخي (محدث وفقيه) (٦٨٧ هـ ق)، السيد رفيع الدين شيرازي (محدث وكلامي) (٩٩٣ هـ ق)، الحكيم أبو الفتح گيلاني (عالم وطبيب) (٩٩٧ هـ ق)، القاضي نور الله الشوشتري (فقيه ومحدث) والملقب بالشهيد الثالث، من أجلة علماء الشيعة الإمامية

---

(١) مقدمة كتاب الطواسين، پروفسور لوئي ماسينيون؛ سرزمين هند، علي اصغر حكمت انتشارات دانشگاه تهران ٥١٥ ص٦٤.

الاثنا عشرية، وله آثار قيمة في الدفع عن حقل التشيع والإمامة المعصومة عليهم السلام، سافر إلى الهند بترغيب من أبي الفتح لكيلاني، ونصّبه أكبر قاضياً على لاهور، ولكن استشهد على عهد جهانگير بتهمة الرفض (١٠١٩ هـ ق)، ومقبرته تزار حتى الآن في مدينة آگرا، ملا شاه بدخشي (١٠٧٠ هـ ق)، السيد علي خان الشيرازي المكي المدني (محدث وفقيه واديب)، من أكابر علماء السادة الشيعة الإمامية (١١١٩ هـ ق).

ومن القرن السادس برز من بين أبناء الهند الأصليين علماء كان لهم دور عظيم في تنشيط الحركة الإسلامية ونشر الدعوة المحمدية في تلك الديار. ونذكر على سبيل المثال الشيخ فريد الدين شكر گنج (٦٦٤ هـ ق)، القاضي حميد الدين ناكوري (مشرع وكلامي) (٦٩٥ هـ ق)، الخواجة نظام الدين محمد بداوني (٧٢٥ هـ ق)، الشيخ نصير الدين روشن چراغ دهلي (٧٥٧ هـ ق)، مولانا محمد گيسودراز (٨٢٥ هـ ق)، الشيخ نور الدين رشي كشميري، السيد محمد غوث گواليارى (٩٧٠ هـ ق)، الشيخ عبدالقادر بداوني (١٠٧٠ هـ ق)، أبو الفضل علامي (٩٥٧ ـ ١٠١١ هـ ق)، أبو الفيض فيضي (ذكرناهما مفصلا).

الشيخ أحمد سرهندي (١٠٣٤ هـ ق)، الشيخ عبد الحق دهلوي (١٠٥٢ هـ ق)، شاه ولي الله دهلوي (١١٧٦ هـ ق) والسيد غلام علي آزاد بلگرامي (١٢٠٠ هـ ق).

إن هذه الكوكبة من العلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة ومشايخ الطرق الصوفية، عملوا في نشر الإسلام أصوله وفروعه وآدابه طيلة قرون ثمانية (١٣٠٠ ـ ٥٠٠ هـ ق).

وكانت تنتقل آثارهم ومؤلفاتهم عبر تلاميذهم إلى أقصى نقاط الهند، حيث كان يتشكل مجتمع الإسلامي تقام فيه المساجد والمدارس ودور التعليم

والمذهب الشيعي الاثنا عشري أخذ يشق طريقه في الهند بفضل جهود العلماء ـ عبر هذه القرون ـ الذين كانوا يأتون إليها متفرقين أو مجتمعين من بلاد اليمن والعراق وايران، وكانوا يبثون الحب والولاء لآل البيت عليهم السلام والبراءة من

مناوئيهم.

وكانت هذه الهجرات في الأغلب تقع بسبب تصلّب الحكام السنّيّن المتصلّبين المتزمتين ضد الشيعة، مثل السلاجقة والتيموريين والذين كانوا لا يألون جهداً في اضطهادهم وقمعهم وإبادتهم.

والمهاجرون الشيعة في القرون الأُولى ـ والذين نزحوا إلى الهند عن طريق البحر ـ كانت العربية لغتهم الأم، وأما الذين كانوا يفدون إليها في القرون التالية ـ من خراسان ـ كانت الفارسية لغتهم الأُصلية، وهؤلاء هم الذين حملوا لواء انتشار اللغة الفارسية والأدب الفارسي وشعره ونثره خاصة، والثقافة الايرانية الإسلامية عامة في الهند عبر قرون طويلة، حيث اتصف الأدب الفارسي في الهند بطابع هندي وعدت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للدولة، حتى في فترة الاستعمار البريطاني ـ منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ـ والدليل على ذلك القائمة الطويلة بأسماء العلماء والشعراء الوافدين من ايران على الهند، وأن أكبر هو اول سلطان هندي وضع منصب (ملك الشعراء) على غرار البلاط الايراني، وقد برز من بين أبناء الهند الأصليين شعراء ينظمون الشعر باللغة الفارسية، من أمثال أمير خسرو دهلوي وفيضي وچندر بهان، وقد ألفوا معاجم باللغة الفارسية، وهي وتُعد الآن من أُمهات مصادر هذه اللغة.

وتاريخ حركة الأدب والثقافة الايرانية في الهند يحتاج إلى مجال كبير لا تسعه هذه المقدمة[1].

وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين ـ بفضل جهود علماء الدين ومساندة الحكام والسلاطين وانتشار الثقافة الإسلامية ـ احتضنت لدى الهنادكة فكرة

---

(١) نشر المعجم البروفسور شبلي نعماني ترجمة محمد داعي في ثلاث مجلدات عن تراجم شعراء العجم في الهند؛ سرزمين هند علي اصغر حكمت ٧٤؛ وعشرات الكتب في تراجم الاعلام نشير إلى بعضها في ترجمة ابي الفيض.

استساغتها عقولهم ونفذت إلى أعماق قلوبهم وضمائرهم، ألا وهي التمسك بالإيمان بالله الذي لا تدركه الأبصار، بعد أن كانوا وثنيين يؤمنون بتعدد الآلهة. وكذلك تأثرت الهنادكة بمبدأ المساواة وعدم التمييز بين طبقات الناس إلا بالتقوى والصلاح ـ المبدأ الإسلامي: لا فرق بين سيد قرشي وعبد حبشي إلا بالتقوى ـ فتمخض عن ذلك كله أن اعتنقت جماعات غفيرة من الهنادكة وغيرها الدين الحنيف.

وهكذا، وفي هذا الجو المتميز ترعرع وشبّ (أكبر) وبدأ حياته، وظل طوال العشرين سنة الأولى من حكمه مسلماً مخلصاً، ولكنه انقلب بسبب اختمار الأسباب الحاكمة على المجتمع آنذاك وبدأ يفكر في إيجاد مسلك جديد، فبدأ عام ٩٨٣ هـ ١٥٧٥م بإنشاء دار خاصة في فتح پور باسم (عبادت خانه) لتكون منتدى للفقهاء والمتصوفة ورجال الدين وصفوة رجال الحكم من السنة والشيعة، وكان يدعوهم مساء كل خميس لحضور هذه الدار ومناقشة المذاهب في حضرته، بغية التقريب بين الآراء وتوحيد الإسلام في مذهب واحد، ولكن هذه المناقشات لم تأت بالنتيجة المطلوبة، وراح كل فريق يتهم الفريق الآخر بالكفر والمروق.

هدت أكبر قريحته ـ بمعاونة وزيره الشيخ أبي الفيض الفيضي وأخيه الشيخ أبي الفضل ـ إلى ابتكار مسلك جديد تتألف كل ما هو حسن في سائر العقائد على وجه يقضي ـ فيما ظنه ـ على تناحر الفرق والأديان ويهيئ السلام للناس والأمن للدولة.

وهذا المذهب الذي عرف في التاريخ باسم (دين الهي) أو (التوحيد الإلهي)، والذي يقوم على تمجيد الله وينادي بوحدة الوجود ويمتزج فيه التصوف والفلسفة بالعبادات، والسلطان هو الإمام العادل، ظل الله على الأرض، المجتهد الأكبر، إطاعته فرض ومخالفته حرام ـ وسنتحدث عن ظروف هذه المسألة ـ.

اقتبس هذا المسلك الجديد من الإسلام والهندوكية والمسيحية، وربما الزرادشتية، وبتعبير آخر اقتبس الروح من الإسلام بينما صاغ الجسم من غيرها، ومن الطبيعي لم يقع هذا المسلك موقع القبول من جميع العلماء والطبقات والشعوب الهندية، وكان يتأرجح بين مؤيديه ومعارضيه. ولكن لم يكن هذا المسلك الهدف

لحركة أكبر أكثر مما كان وسيلة لوحدة الشعب ونبذ الخلافات العقائدية[1].

فالملك الشاب كان تحت سلطة العلماء المتشددين، يتصرّفون في الملك كيفما يشاؤون، ويعاملون الذين لا يسيرون سيرتهم ولا يذهبون مذاهبهم معاملةً سيئة تتسم بالعنف والإرهاب والقمع. وكان من بين هؤلاء طائفة الشيعة عامة وأبو الفضل وعائلته خاصة. ففكروا في طريق يخرجهم من هذا المأزق، ووجدوا طريق الخلاص في أن تكون مقاليد الأمور بيد الحاكم وولي الأمر، وأن أكبر من مصاديق (اطيعوا الله .. وأولي الأمر منكم)، لأنه طاعته مفروضة من قبل الله. فكتبوا محضراً بذلك وأيده العلماء برضى أو بغير رضى. وبهذا التدبير قطعت أيدي المتطرفين من الحكم واستراح الباقون من تَعَنُّتِهم وتشددهم، وأخذت الشيعة تنتعش برهةً من الزمن بفضل تدبير الفيضي وأخيه.



(1) تأريخ دولة اباطرة المغول الإسلامية في الهند ص ١١٢ الدكتور جمال الشيال دار المعارف ١٩٦٨؛ تأريخ المسلمين في شبه القارة .. الدكتور احمد محمود الساداتي الطبعة الثانية ١٩٧٠ مطابع سجل العرب القاهرة.

الساطعة الثانية

أسرة المؤلف:

جد المؤلف: الشيخ خضر اليماني الأصل، الهندي المسكن والمدفن (ت ٩٥٤ هـ ق).

وكان أسلاف المؤلف وأجداده عالماً من أهل العلم وأصحاب الكمال ومشايخ الصوفية وأرباب الحال. وأصل هذه السلالة من اليمن حيث جاء الشيخ خضر إلى الهند. ويقول مؤلف شعر العجم: يذكر أن الفيضي أسلافه من اليمن. والشيخ موسى هو جده الخامس حيث هاجر من وطنه حباً للرحلة ودخل السند، وأقام في قرية اسمها (ريل) وتزوج هناك.

ثم يستمر مؤلف شعر العجم ويقول: وفي القرن العاشر الهجري ترك الشيخ خضر ـ جدّ فيضي ـ بلاده نحو ناگور، وهناك بنى على امرأة عربية، وجاءت له بالشيخ مبارك. وكان فيضي ثمرة هذا الزواج.

ويقول السيد محسن الأمين[1] وصار له بها اعتبار عاش ١٢٠ سنة وقرأ في أحمد آباد كجرات على نحارير العلماء، وأخذ من كل فن بسند عال، وعرف المذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي والإمامي أُصولاً وفروعاً، ووصل إلى درجة الاجتهاد وهو وإن كان منتسباً إلى المذهب الحنفي، لكنه في الحقيقة كان نابذاً للتقليد ومتجاوزاً علم الظاهر إلى الحقائق المعنوية وسالكاً مسلك التصوف والاشراق، وعارفاً بأساليب التصوف، خصوصاً مسلك الشيخ محيي الدين بن العربي وابن

---

(١) أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ج٩؛ شعر العجم ٢٧/٣.

الفارض والشيخ صدر الدين القونوي، ومن جلائل النعم الإلهية عليه اختصاصه بملازمة الخطيب أبو الفضل الكازروني، فاتخذه بمنزلة الولد فقرأ عليه التجريد وكثيراً من غوامض الشفاء والإشارات ودقائق التذكرة والمجسطي، وتتلمذ على مولانا جلال الدين الدواني، وأخذ في جزيرة العرب أنواع العلوم النقلية عن الشيخ السخاوي المصري تلميذ ابن حجر العسقلاني، وسافر في أوائل المئة العاشرة مع جماعة من خواصه إلى الهند لأجل رؤية الأولياء هناك، فجاء إلى ناكور والتقى بالسيد يحيى البخاري الذي له نصيب وافر من الولاية المعنوية، وبالشيخ عبدالرزاق القادري البغدادي من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلي المشهور، وبالشيخ يوسف السندي، وسافر إلى السند وأخذ عن الشيخ فياض البخاري وتوفي سنة ٩٥٤ (أقول: يظهر من ذلك أنه كان صوفياً وتشيعه غير معلوم (حيث كان يعمل بالتقية، وإن كان مظنوناً. قالوا ومنه الشيخ مبارك بن الشيخ خضر كانت له رياسة عامة ومرجعية تامة في الهند (وتأتي ترجمته).

الشيخ مبارك ابن الشيخ خضر اليماني الأصل الناكوري المنشأ

(سنة ٩١١ وتوفي ١٧ ذي القعدة سنة ٩٩٥ هـ ق)

ونشأ مبارك (ابن الشيخ خضر) بعد تحصيل العلوم لتفقيه والتعليه نال في تلك المملكة رياسة عامة ومرجعية تامة ـ وابنه الشيخ أبو الفضل كان مقدما في عهد السلطان محمد أكبر شاه (٩٥٧ ـ ١٠١١) ـ.

والشيخ مبارك ولد في ناكور عام ٩١١ هـ ق، واستقر عام ٩٥٠ هـ ق في آگرا، ظهرت عليه ملامح النجابة في صباه ولما بلغ التاسعة من عمره كان قد حصل له نصيب من العلم، وما أن بلغ الرابعة عشرة حتى صار له إلمام بسائر العلوم المتداولة. قال أبو الفضل: ولما توفي جدي الشيخ خضر سنة ٩٥٤ التزم والدي زاويته واشتغل بتحصيل العلوم وحصل قحط في بلاد الهند وضيق عظيم وهو لم يفارق زاويته ولم تفتر عزيمته، وأنا كنت يومئذ ابن خمس سنين وكان يحول في هذا الوقت سبعين نفساً من ذكور وإناث وصغار وكبار، ولم يكن له شغل في ذلك المنزل

غير محاسبة النفس ومطالعة أسفار الحقيقة إلى أن ارتفع القحط ومَنَّ الله تعالى بالرخاء، واشتغل ببث فنون الحكمة وأنواع العلوم بين الناس وابانة الحق والباطل، ويوماً بعد يوم صارت الناس تأخذ من خزينة عقله فوائد كثيرة، فدب داء الحسد له في القلوب، ونسب إلى التشيع ولكن بواسطة الحماية الآلاهية دفع شرهم عنه، وفي سنة ٩٥٠ خرج من زاوية الانزواء واشتغل بنشر العلوم وتلمذ عليه الأكابر، وعاد الحساد فالصقوا به عند السلطان أمور بافتراآتهم ـ نتيجة تعصبهم الديني ـ.

قالوا: ومن إمعان النظر الدقيق وإعمال الفكر العميق فيما قرره ابنه الشيخ أبو الفضل عند ذكر ترجمته بضميمة الاطلاعات الخارجة، يعلم أن الشيخ مبارك وابنه الشيخ أبو الفضل كان كل منهما ـ باطناً ـ شيعي المذهب إمامي المشرب، ومن هذه الجهة كان علماء ورؤساء المخالفين لهم في المذهب يعادونهما عداوة قبيحة وغير ما يدل على تشيعهما في ترجمة ابنه أبي الفضل.

وذكرنا في تلك الترجمة نقلاً عن كتاب دانشوران ناصري أنه لما دخلت السنة الرابعة والعشرون من سلطنة أكبر شاه، جرى يوماً في مجلسه حديث في أن السلطان هل يمكن أن يجتهد في بعض الأمور، فكتب الشيخ مبارك الذي كان أعلم علماء زمانه تذكرة بأمر السلطان وختمها بخاتمه فيها: أنه بمقتضى آية ﴿واطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم﴾، والأحاديث الواردة في ذلك، وجوب إطاعة السلطان العادل، فإذا اختلف العلماء في مسائل الدين واختار السلطان أحد القولين لأجل تسهيل معاش بني آدم وصلاح حال العالم، فحكم به وجبت طاعته، وكذلك إذا حكم بما لا يخالف النص لأجل المصلحة العامة. وختم هذه التذكرة بخاتمه وختمها سائر العلماء والقضاة، وذلك في رجب سنة ٩٨٧ هـ ق، وكان الدافع إلى ذلك ما ظهر من الشيخ عبدالله ابن الشيخ شمس الدين السلطانبوري الملقب بمخدوم الملك، والشيخ عبد النبي الصدر من حب الجاه والمال والسعي في إراقة الدماء باسم الدين، وقد لاقى الشيخ مبارك وولداه الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الفيض منهما اذى كثيراً، ولكن الله نجاهم من شرهما.

وقال الشيخ عبد القادر البدائوني (من تلاميذ المترجم) في كتاب له: إن

مخدوم الملك أصدر فتوى بأن الذهاب إلى الحج غير واجب، لانحصار الطريق في طريق العراق الذي يسمع فيه كلام غير ملائم من القزلباشية، وطريق البحر يلزم أن يـؤخذ فـيه جـواز مـن الفـرنج فـيه صـورة مريم وعـيسى عليهما السلام وأنـه آله. والبداوني عند ترجمته نفسه يقول: إن الشيخ مبارك وإن كـان له عـلي حق عظيم لأنه أستاذي، لكن حيث انه وأولاده مغالون في الانحراف عن المذهب الحنفي لم تبق له علي حجة. وحكي البداوني عن مخدوم الملك انه في أول عهد أكبر شاه كان كلما رأى الشيخ أبا الفضل تتكلم عليه وعلى أبيه الشيخ مبارك ويذمهما

فأصدر الشيخ مبارك هذه الفتوى بأمر السلطان لبعض ما رآه من الصلاح، وإلا فالآية خاصة ببعض أولي الأمر الذين لا يعصون الله ما أمرهم، وكيف يأمر الله تعالى بإطاعة الفسقة والعصاة، وليس الأمر بإطاعتهم إلا أمراً بالمعصية تـعالى الله عن ذلك)[1]

يقول مؤلف شعر العجم: إن الشيخ مبارك برع في العلوم الظاهرة والباطنـة وكان له مركز كبير، وله تفسير في حجم تفسير الكبير للإمام الرازي في أربع مجلدات وسمّاه تفسيره منبع العيون ثم تنقل من ناكور إلى كجرات ومنها إلى اكراق (جمنا)، مجاوراً لرفيع الدين الحسيني[2]

بأحمد ...

المولى الشيخ مؤتمن الدولة أبو الفضل الناكوري المؤرخ ابن الشيخ مبارك ابن الشيخ خضر، اليماني الأصل الهـندي المسكن ٩٥٨ ـ ١٠١١ هـ ق،(١٥٥١ ـ ١٦٠٢م).

عالم مؤرخ كان معاصراً للسلطان جلال الدين محمد أكبر شاه بن همايون شاه المنسوب إليه مدينة أكبر آباد بالهند، والمتوفي سنة ١٠١٤هـ، ألّف له المترجم

---

(١) اعيان الشيعة ج٩.

(٢) شعر العجم ٢٧/٣.

تاريخاً فارسياً سماه آيين الأكبري منسوباً إلى اسمه، فرغ منه سنة ١٠٠٤ هـ، أورد فيه من عادات الهنود وأحوالهم أموراً عجيبة.

وجاء في كتاب دانشوران ما ترجمته: الشيخ أبو الفضل المؤرخ من مشاهير علماء مملكة الهند ومعاريف أفاضل عهد السلطان محمد أكبر شاه، كان مشهوراً بحسن النظم والنثر، كان مقدماً على جميع رجال المملكة في عهد سلطان الوقت محمد أكبر شاه حتى على أولاد السلطان، وهو مصنف تأريخ أكبر شاهي (آيين أكبري) المشهور في تمام العالم بفصاحة عبارته واستحكام كلامه، وهو شاهد على تبحّر مؤلفه وتضلّعه وتعمّقه واتساع بلاغته وبراعته.

وأصحاب المعاجم والمصنفون في التأريخ والرجال ينقلون غالباً ترجمة الشيخ أبي الفضل وأحواله من ذلك الكتاب، لأنه في ذيل تأريخ آئين أكبري شرح أحوال أسلافه وأخبار سلسلة آبائه وأجداده شرحاً مفصلاً بحيث لم يترك جزئية ولا كلية وذكر أساتذته وآثاره وعلومه ومعارفه وذكر والده أيضاً، ومن إمعان النظر الدقيق وإعمال الفكر العميق في تحرير تخمينة الاطلاعات الخارجية، نعلم أن الشيخ أبو الفضل كان باطناً شيعي المذهب إمامي المشرب، ومن هذه الجهة كان علماء ورؤساء المخالفين له ولأبيه في المذهب يعادونهما عداوة قبيحة، والشيخ أبو الفضل في وقت رياسته العظمى سعى في تفريق كلمة هؤلاء الجماعة، والسلطان أكبر شاه قصّر أيدي المتعصبين عن الخلق.

ونحن نأسف عزولي السلف بنقل أحوال الشيخ أبي الفضل قال عن نفسه أنه ولد سنة ٩٥٧ هـ وما بلغ الخامسة عشرة من عمره حتى كان أبوه قد فتح له أبواب خزائن العلم ثم ذكر أحواله مطولاً

ثم قال أصحاب دانشوران ناصري بعد نقله بطوله:

هذه ترجمة أبي الفضل التي ذكرها هو بنص عبارته في كتاب (آئين أكبري).

وأما شرح تشريع وإيجاد الدين الإلهي الذي ظهر في عصر جلال الدين محمد أكبر بتدبير وسعي الشيخ أبي الفضل المذكور، على ما ذكره النواب السيد غلام حسين الطباطبائي رضوان الله عليه في مقدمة كتابه سير المتأخرين، حيث

قال: إن الشيخ عبدالله ابن الشيخ شمس الدين السلطانبوري ـ الذي كان يلقب في عهد شير شاه بصدر الإسلام، وفي زمان همايون بشيخ الإسلام، وفي وقت أكبر بمخدوم الملك ـ كان طالباً للجاه غاية الطلب، متعصباً محباً للدنيا، كما ذكره الشيخ عبد القادر البدايوني في كتابه مع اتحاد المذهب فيهما والمناسبة التامة في العمل والطبيعة. ولما مات مخدوم الملك وكان بينه وبين السلطان منافرة، ظهرت له خزائن ودفائن كثيرة منها عدة صناديق فيها قطع من الذهب بشكل اللبن كان قد دفنها في المقبرة، فأخرجت وأُدخلت مع كتبه إلى الخزانة العامرة السلطانية. والشيخ عبد النبي الصدر كذلك كان رجلاً متعصباً طالباً للجاه، وهو من أولاد أبي حنيفة الكوفي، وفي أوائل عهد أكبر وصل اقتداره إلى حد أنه كان أحد وزراء الملك يقدم له نعله والافاغنة يحبونه كثيراً. وكانت عامة الدعاوي وأكثر أمور السلطنة تدور برأي هذين الرجلين، والسلطان مشغول عنهما، وكان هذان الرجلان بمقتضى حب الجاه والنفس وشدة التعصب كلما رأوا رجلاً موضع التفات السلطان والسلطان يميل إلى مشربه ومسلكه، يتوسلان إلى قتله بكل حيلة باسم حماية الشرع وحراسة الإسلام ولا يدعان أحداً يتقدم رتبته ووصل الحال إلى أن خلقاً كثير قتلوا بغير حق بسعي أولئك كما أن الشيخ أبو الفضل وأبوه الشيخ مبارك وأخوه الشيخ فيضي وقعوا في بليه هذين الرجلين، وبالتأييد الإلهي نجوا من هذا البلاء ووصلوا إلى أوج العزة والاختصاص.

والذي يستفاد من مجموع الحكايات وتحريرات نقلة أخبار ذلك العصر أن كلا هذين القدوتين كانا في الظاهر في نهاية التعصب والتصلب للدين لكن لمجرد حب الجاه والنفس واتباع الهوى ومن شدة تعصبهم أصدر مخدوم الملك ـ على ما ذكره الشيخ عبدالقادر بدايوني ـ فتوى عجيبة وهي أن الذهاب إلى الحج في أيام الحج غير واجب، حيث أنه سأل فأخبر أن طريق الحج منحصر إما في طريق العراق أو طريق البحر، وطريق العراق يسمع فيه كلام غير ملائم من القزلباشية، وطريق البحر يلزم أن يؤخذ فيه جواز من الأفرنج، وهذا الجواز قد صوروا فيه صورة مريم وعيسى عليه السلام إلخ. فإذاً السفر على كلا الطريقين ممنوع، والبدايوني عند ترجمة أحوال نفسه يقول: إن الشيخ مبارك وان كان له على حق عظيم من

جهة أنه أستاذي، لكن حيث انه وأولاده مغالون في الانحراف عن المذهب الحنفي لم تبق له علي حجة وأيضاً لأجل تأييد مدعاه نقل عن مخدوم الملك أنه كان كلما رأى الشيخ أبا الفضل في أوائل عهد أكبر شاه يذمه ويذم أباه الشيخ مبارك ويقدح فيهما وبسببها أريقت دماء كثيرين من عباد الله، لا سيما على التشيع، ووصل التعصب في العوام إلى حد انه في أوائل سنة ٣٣ (في سلطنة أكبر) كان رجل من أرباب المناصب اسمه فولاد برلاس يعادي رجلاً يسمّى الملا أحمد شيعي المذهب ـ عداوة مذهبية ـ فاستدعاه ليلاً من منزله وضربه بخنجر، وكان أكبر شاه في تلك الأيام قد خرج من قبة العصبية، فأمر أن يربط برلاس في بلدة لاهور حتى هلك، وتوفي الملا أحمد المجروح بعد وفاة قاتله ثلاثة أيام، وبعد دفن الملا أحمد أقام الشيخ فيضي وأخوه الشيخ أبو الفضل حرساً على قبره خوفاً من أن ينبش، ومع هذا الاهتمام فإن أهل لاهور بعد سفر عسكر أكبر شاه إلى كشمير نبشوا قبره وأخرجوا جثته وأحرقوها. وحيث أن مؤتمن الدولة الشيخ أبو الفضل صار في أعلى مراتب القرب عند أكبر شاه، وعلامة الزمان حكيم فتح الله الشيرازي وآخرين من علماء وأمراء العراق وخراسان جاؤوا بكثرة إلى حضرة أكبر شاه، اتفق الشيخ أبو الفضل مع العلامة المذكور وآخرين من العلماء على طريق واحد وكلمة واحدة لتدارك الشدة وإراقة الدماء من قبل أولئك المتعصبين المعاندين المذكورين، وتحزموا لذلك بحزام فهمهم المحكم، فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبه ورأى أن المذهب الذي هو عليه والبناء الذي أحكمه من مدة طويلة يؤدي إلى فناء الخلق، فلم يجد بداً من الخروج عن قيد التعصب وخلّص عباد الله من مخالب أولئك وأتباعهم وبدل الشدة بالرخاء، واطلع شيئاً فشيئاً على خبث نيات أولئك. ولما دخلت السنة الرابعة والعشرون من جلوسه جرى يوماً في مجلسه حديث بين القضاة والعلماء في المسائل المختلف فيها بين المجتهدين، وانجر الكلام إلى أن السلطان هل يمكن أن يجتهد في بعض الأمور؟ فكتب الشيخ مبارك والد معتمد الدولة الشيخ أبو الفضل الذي كان أعلم علماء زمانه حسب الأمر تذكرة بهذا الخصوص وختمها بخاتمه، وحاصلها أنه بعد التأمل وإمعان النظر في معنى الآية الكريمة ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وأحاديث واردة في ذلك فقد حكمنا بأن مرتبة السلطان

العادل عند الله تعالى أعلى من مرتبة المجتهدين، لأن نص آية أولي الأمر يؤيد وجوب إطاعة السلاطين وموافقتهم على رأيهم، لا معاضدة المجتهدين، والسلطان أعدل وأفضل وأعلم بالله تعالى، فإذا وقع الاختلاف في مسائل الدين بين العلماء واختار السلطان أحد القولين لأجل تسهيل معاش بني آدم وصلاح حال أهل العالم فحكم به وجبت إطاعته على كافة الأنام، وأيضاً إذ حكم بحسب اجتهاده بحكم لا يخالف النص لأجل المصلحة العامة فمخالفة هذا الحكم موجبة للسخط الإلهي والعذاب الأخروي والخسران الديني والدنيوي، وختم الجميع هذه التذكرة بخواتيمهم وبعد هذا أحضر مخدوم الملك وعبد النبي الصدر وأمرهما بختمها وامضائها بخطهما فختماها وأمضياها بخطهما طوعاً أو كرهاً، وكان ذلك في شهر رجب سنة ٩٨٧ من الهجرة المقدسة.

فلما كتب هذا المحضر شرع السلطان في إجراء ما يصلح العباد شيئاً فشيئاً، فأمر مخدوم الملك والشيخ عبد النبي بالسفر إلى الحج، وعين العلماء المتعصبين قضاة في الأمكنة البعيدة، وبهذا التدبير استراح الخلق من أضرار الأشرار وتفرغوا لأمور معاشهم ومعادهم، فإن السلطان يعزم أن لا يكون متعصباً ويلزم أن تكون الرعايا في ظله سواء. فلما وصل مخدوم الملك إلى مكة المكرمة كان ابن حجر صاحب الصواعق المحرقة حياً موجوداً في مكة، وباعتبار تناسبه مع مخدوم الملك في التعصب استقبله واحترمه كثيراً وفتح له باب الكعبة، وكان ذلك قبل أيام الحج فأخذ في ذم السلطان والأمراء في المجالس والمحافل بسبب ما ناله حتى نسبهم إلى الارتداد عن الدين والرغبة في الكفر، فوصل ذلك إلى مسامع السلطان. والشيخ عبد النبي لما سمع بخبر بغي محمد حكيم ميرزا أخي السلطان أكبر شاه وفتحه مدينة لاهور عزم هو ومخدوم الملك على الرجوع إلى الهند طمعاً في الرياسة وحباً للجاه. فعادا إليها ووصلا الى أحمد آباد كجرات، فوجدا أن أكبر شاه بتمام الاقتدار فخافاه على أنفسهما. وكان بعض نساء السلطان قد ذهبن إلى الحج في تلك السنة وعدن منه ووصلن أحمد آباد فتوسلا بهن ليشفعن لهما عند السلطان ففعلن، ولما كان السلطان غاضباً عليهما أشد الغضب لسوء أفعالهما أظهر لسانه أنه قبل شفاعتهن وأرسل بعض رجاله خفية للقبض عليهما ففعلوا، فتوفي مخدوم الملك في الطريق فحمل

محبوه نعشه خفية ودفنوه، واستخرج السلطان من داره أموالاً عظيمة وحملها إلىٰ خزائنه. وأما الشيخ عبد النبي فبعد وروده حوّل إلىٰ الشيخ أبي الفضل لمحاسبته، فتوفي بهذا الأثناء، وللعداوة التي بينه وبين الشيخ أبي الفضل اتهم بقتله.

وبقي الحال على هذا والناس في أمان وراحة من التعصب إلىٰ عهد جهانگير، وفي عهده أخذ التعصب المذهبي في الظهور واشتد في عهد عالمگير

ومما ذكره الشيخ أبو الفضل في ترجمة نفسه، ومن وضعه هو وأخوه أبو الفيض المحافظين على قبر ملا أحمد الذي قتله فولاد برلاس ـ كما مر ـ يظهر تشيع أبو الفضل وأسه وأخيه، وكان لأبي الفضل ولد اسمه الشيخ عبد الرحمن وكان ينوب عن والده.

وأما قصة استشهاده، فقد خشي سليم ابن أكبر شاه أن يسعى أبو الفضل لدى أبيه فأوعز إلى أحد رجاله الهند «راجه نرسنكه ديو» بقتله. ولما كان أبو الفضل يتجه نحو العاصمة هجم عليه (ديو) وجنده قرب «گواليار». وبعد مبارزة شديدة قتلوه وقطعوا رأسه وحملوه إلى سليم وتركوا جسده في قرية «انترى». فاغتم الملك غماً شديداً لذلك، وأمر أن يقتل الجاني وأسرته، وتهدم أمواله وممتلكاته ومزارعه

تعريف الكلمة:

آئين أكبري: كتاب باللغة الفارسيّة في مختلف العلوم الاجتماعية والأدبية والتاريخيه والاقتصادية والجغرافية. تأليف الشيخ أبي الفضل العلامي. ألّف هذا الكتاب بشكل دائرة معارف في العلوم والاعتقادات والتقاليد السائدة بين مسلمي شبه القارة الهندية والهندوس، ويمتاز بأسلوب خاص ممتع، تحدّث فيه المؤلف عن التنظيمات الإدارية والعسكرية والاقتصادية والدينية في عصر أكبر شاه التيموري، كما أورد في الكتاب معلومات واسعة عن الأماكن والمذاهب والآداب وتقاليد كل مكان وناحية. والكتاب يُعد مرآة تعكس حياة الهند السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر أكبر شاه.

وعلى خلاف ما يعتقده بعض المستشرقين فإن كتاب آئين أكبري ليس هو الجزء الرابع من كتاب أكبر نامه للمؤلف نفسه، وذلك لأن كتاب أكبرنامه هو تأريخ عصر أكبر شاه وأجداده وألفه أبو الفضل في مدة ٢٨ سنة (منذ ٩٨٢ / ١٥٧٤) في ثلاثة أجزاء، بينما انتهى آئين أكبري في (١٠٠٦ / ١٥٩٧)، والمصدر الرئيسي للمؤلف هو مشاهداته والتقارير الموجودة في مؤسسات أكبر شاه الإدارية

وينقسم إلى خمسة أقسام، تدبير المنزل وتدبير الجيش، أصحاب القوافي، تدبير المملكة ـ وقد تحدث في هذا الفصل عن (التاريخ الالهي) ـ وأما القسم الأخير فليس له عنوان

ويعتبر الكتاب من أهم المصادر المعتمدة في دراسة الهند، طبع الكتاب عدة مرات في دلهي ١٢٧١ / ١٨٥٥، ١٢٨٦/ ١٨٦٢ و١٢٩٩ /١٨٦٧ وفي ١٣٠٠ / ١٨٨٣ في كانبور (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى)[١]

أما باقي إخوته فإن صاحب الترجمة في مقدمة تفسيره سواطع الالهام يتحدث عن إخوته فيقول عنهم كلهم أولوا العلم والحكم، سعود لوامع المكارم، سلكوا مسالك العلم والحكم، وادركوا مدارك الورع والصلاح، ووصلوا مراصد الولاء والوداد، لهم علم أصح وعمل أعود ومدار أول الاسمى[٢]

الشيخ أبو المكارم ولد سنة ٩٧٦ هـ ق ٣ شوال

---

(١) ١ ـ دائرة المعارف بزرگ اسلامي ج٦ ، ماده أبو الفضل علامي

٢ ـ أكبرنامه = آيين

٣ ـ انشاي أبو الفضل = مكاتبات علامي

٤ ـ عيار دانش (قصص مختارة)

٥ ـ ترجمة الانجيل باللغة الفارسية

٦ ـ مناجات منظوم

٧ ـ رقعات أبو الفضل (رسائل خاصة).

٨ ـ كشكول ابو الفضل

(٢) راجع مقدمة تفسير سواطع الالهام.

الشيخ أبو البركات ولد سنة ٩٦٠ هـ ق ١٧ شوال.

الشيخ أبو الخير ولد سنة ٩٠٧ هـ ق ٢٢ ج الأولى.

الشيخ أبو تراب ولد سنة ٩٨٨ هـ ق ٣ ذو الحجة.

الشيخ أبو حامد ولد سنة ١٠٠٢ هـ ق وكذلك ربيع الأول.

الشيخ أبو راشد ١٠٠٢ هـ ق (شهداء الفضيلة للعلامة الأميني رحمه الله)[١]

وقد ذكر أبو الفيض هذه الأسماء بالالغاز في مقدمة تفسيره.

(١) راجع شهداء الفضيلة تأليف العلامة المرحوم الأميني رحمه الله.

الساطعة الثالثة

أبوالفيض الفيضي[1]: كاتب، شاعر، أديب، فقيه مؤرخ ومفسر ووزير

---

(1) بداؤني، منتخب التواريخ ٣ / ٣/٥ يقول عنه: انه مجموع الجد والهزل والعجب والكبر والحقد والعناد ومجموعة من النفاق والخبث والرياء وحب الجاه والخيلاء والرعونة انه كان معاند ومعادي المسلمين ويطعن في أصول الدين وبهين المذهب والصحابة والتابعين والمتقدمين علماء وفضلاء سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً كل اليهود والنصارى والهنادكة والمجوس أشرف منه (سهي) لعن الله نفسه المعاصرة ويقول في [illegible] عند الممات كان يعوي كالكلب ووضعوا انه بيتاً معناه إن كلباً قد مات [illegible]

محمد رحمه في [illegible]

مجمع الخواص صادقي كتابدار ص ٤٢، ٥٣ ترجمة بالفارسية گنج معنى ص٥٣، ٦١ دسج [illegible] محمي [illegible] صحف ابراهيم [illegible] تاريخ [illegible] ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ [illegible] نامه علي أكبر دهخدا؛ دائرة المعارف مصاحب؛ دائرة المعارف الاسلامية العربية المترجمة دائرة معارف البستاني، اعيان الشيعة للأمين العاملي ج٩؛ الذريعة آغا بزرك الطهراني، ج ١٢، ١٥٧٨ ص٢٤٠، تذكره نصر آبادي، ميرزا محمد طاهر ص ٤٨٢ ط طهران ١٣١٧، مرآة الأمراء، شاه نوازخان ٢/٥٦، ٥٨٤ ط ٢ كلكته ١٨٩٠ م؛ شهداء الفضيلة العلامة الأميني، مجمع، نامة دانشوران؛ روضات الجنات؛ اعلام الزركلي، گلزار جاويدا محمود هدايت؛ مجمع الفصحاء، رضا قليخان هدايت؛ تاريخ ادبيات ايران ادوارد براون؛ تاريخ ادبيات ايران دكتر ذبيح الله صفا؛ تذكرة نتائج الافكار محمد قدرت الله گوپا ط ١٥ هند ص ٥٣٣ عام ١٣٣٦؛ شرح حال منتخب لطائف رحيم عليخان ايمان ص٣١٣ ط ١٣٤٩؛ مقالات الشعراء ص ٥٠٤، شبلي نعماني؛ شعراء العجم شبلي نعماني ج٣ / ٢٦؛ تذكرة ميخانه ملا عبدالنبي فخر الزماني قزويني ص٢٤٧ ط العاصمة ١٣٦٧؛ سبك شناسي ملك الشعراء بهار، ٢٥٨/٣؛ حاشية سبك شناسي ٢٠٣/٣، آيين أكبري أبو الفضل ماكوري.

(٩٥٤ هـ ت ١٠ صفر ١٠٠٤ هـ ق = ١٥٩٥ م ـ ١٥٧٤ م)، ولم يكن أبو الفيض دون أخيه في نباهة الذكر والعلم، فقد كان أقدر في صناعة اللغة وفي الشعر، وخاصة بالفارسية والهندية ـ وعلى المثل: الفضل ما شهدت به الأعداء ـ يقول عنه البدايوني الذي كان يبغضه بغضاً شديداً: (لم يكن له نظير في عصره... كما كان على نبوغ كبير في الكتابة والفقه ثم الطب، الذي بلغ شغفه به أن أوقف قرابة خمسة آلاف مجلد من النوادر في الشعر والطب والفلك والموسيقى والرياضيات والفلسفة، وقد نقلت جميعها على أثر وفاته إلى البلاط بعد تضعيفها. نعم لقد كان عالماً فاضلاً مؤلفاً، شهدت له آثاره القيمة بذلك والتي نستعرضها عما قليل.

لقد مرّ على فيضي وأخيه في مراحل شبابهما ظروف صعبة جداً، وذلك بسبب المذهب الشيعي الذي كانا يعتنقانه، في جميع مراحل حياتهما ـ سواءً قبل الاتصال بالبلاط أو بعده ـ كانت تحاك المؤامرات ضدهما وتدس الدسائس للوقيعة بهما، ولقد ضاقا ذرعاً من الاضطهاد والإرهاب الذي كانا يواجهانه من علماء البلاط والمعاندين عقائدياً، أو من ناحية الحرم الملكي.

لكن بسبب بصيرة الفيضي وأخيه بحقائق ما تجرى من الأمور، وبسبب صدق نيتهما واستقامتهما الخلقية، تطورت وتغيرت الظروف التي كانا فيها، ففي عام ٩٧٤ هـ ق طلب (أكبر) حضورهما إلى البلاط واستقبلهما استقبالا حاراً واحتفى بهما حفاوة سائغة تليق بمثلهما، وقد سجل هذا الحادث الفذ ـ الذي غيّر مصير حياتهما ـ الفيضي في قصيدة مطنطنة، يظهر فيها فرحه وسروره بهذا الحادث، وقد ذكر ذلك أبو الفضل في (آئين أكبرى) بجميع تفاصيله وجزئياته.

وبعد أن توطدت قدماهما في البلاط تمكنا بفضل عبقرتهما السياسية أن يعبرا الحواجز ويزيحا الستار عن النوايا العدائية التي كانت تكنّها لهما حاشية البلاط، لا سيما من ناحية الشيخ عبد النبي ومخدوم الملك، وآرائهما الرجعية التي كانت تتسم بالعصبية الجاهلية التعسفية.

يحدثنا فيضي في ترجمته الذاتية وفي مقدمة تفسيره سواطع الالهام عن تأريخ ولادته ومراحل نشأته وتعليمه واساتذته وأُسرته. فيقول: (لما ولد محرر سواطع، علمهُ الوالد علم الحلال والحرام والأُصول والكلام وحصّل فروع العلوم وكمال مراسمها كما هو المرسوم. (انتهى).

آ - أساتذته:

وكان أبوه أول أُستاذ تتلمذ عليه وعلّمه مبادئ القراءة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، ثم علم الفقه وأُصول الفقه وأصول الدين وعلم الفلسفة والكلام وجميع العلوم التي كان الطلاب يدرسونها ويتدارسونها. فشدّ الأب الرؤف العالم الأبي النفس من عضده ولقنه ثبات أفكاره، وصب في روح الشاب حرية الفكر وسمو الروح الذي كان يمتاز به الشيخ مبارك.

ومن أساتذته أيضاً الخواجه حسين المروزي من أُسرة علاء الدولة السمناني، وقد أخذ عنه العلوم العقلية، وكذلك تتلمذ في العلوم النقلية والشرعية على الشيخ بن حجر المكي، كما يذكر لنا ذلك البدايوني في منتخب التواريخ

ب - نشاطه السياسي والعلمي والأدبي:

بعد ما مثل فيضي في البلاط أخذ بالتقرب رويداً رويداً إلى أكبر الذي ازداد حبه واحترامه لفيضي وكان فيضي في المرحلة الأُولى من اتصاله بالبلاط يأبى أن يتقلّد المناصب الإدارية، وكان يستمتع بأوقاته في القراءة والتأليف وتعليم الأمراء. حيث سلّموا إليه مسئولية تعليم الأمير دانيال نجل (أكبر)، وكان ذلك في العام الرابع والعشرين من تتويج أكبر.

وما أن حلَّ عام ٩٩٠ هـ.ق حتى وُكِّلَ إليه - من قِبَلِ أكبر - الصدارة لـ(اگرا) و(كالنجر) و(كالپي).

وعام ٩٩٦ هـ.ق، العام الثالث والثلاثون من تتويج أكبر لقب بلقب (ملك

الشمراء)، وفي عام ٩٩٧ هـ ق سافر برفقة أكبر إلى كشمير، وفي عام ٩٩٩ هـ ق العام السادس والثلاثون من جلوس أكبر على العرش أرسل كمبعوث خاص وكسفير إلى مهات عديدة، وعاد من مهمته ـ طالت حوالي ٦١٩ يوماً ـ في عام ١٠٠١ هـ ق إلى العاصمة، حيث قام بجميع مسئولياته خير قيام.

ومما يستلفت النظر أن فيضي لم يباشر في مدة حياته المناصب الحكومية والسياسات العملية، ولم يقم بأية تجربة في نطاق نظام الحكم والإدارة قبل ذلك، ولكن حينما أحيلت إليه المسئوليات الخطيرة تصرّف فيها كأي رجل محترف ذو قدرة وخبرة على الأمور. وفي العام التاسع والثلاثون من تتويج أكبر أصيب فيضي بالربو (الخفقان في النفس)، فاحضروا إليه الحكماء والأطباء لعلاجه، ولكن لم تنجع المعالجات ولم تنفع وصفات الحكماء والأطباء الذين أحضرهم أكبر خصيصاً له

وما إن حضرته الوفاة عند منتصف الليل، هرع أكبر لعيادته وخاطبه كعادته (يا شيخ جيو)، ولكن الشيخ لم يجب وفاضت روحه إلى الملأ الأعلى في شهر صفر عام ١٠٠٤ هـ ق

لقد امتاز فيضي بأخلاق سامية ونفسية كريمة وخصالة لم تدنسها الدنسات ولم تحنِ رأسه أمامها. لقد كان رجلاً كريم النفس أبي الطبع سخياً جواداً باذلاً، يسعى لدى البلاط في حل مشاكل الناس حتى في حل مشكلات أعدائه. ولقد كان يمقت الملق والتمسح بأعتاب الملوك. كانت داره منتدى للفضلاء والعلماء وملجأً للضعفاء. وكان شغوفاً بمصاحبة الفقراء. ولم يكن يسمح لنفسه أن تنحط إلى مراتب البخل والحسد والنميمة والخلق السيء، وعقدة المعاصرة التي هي من مميزات رجالات البلاط والقصور. وكان يذكر من ترامى معه باحترام وتبجيل، ولم يستثن أعداءه من هذه القاعدة مثل عدوه اللدود ملا عبد القادر البدايوني الذي لم يأل جهداً في سبيل الأخذ عليه واتهامه بالكفر والزندقة.

ولكن الحقيقة التي لا يمكن نكرانها أن هؤلاء لم يصلوا إلى عمق تفكير الفيضي، ولم يدركوا جوهرة آرائه ولم تتمكن مقدرة عقولهم من فهمه، ولهذا كانت أفكاره تبدو لهؤلاء المتعاملين كفراً وزندقة ومروقاً عن الدين. وما كان الشيخ عبد

النبي ومخدوم الملك يأخذون عليه أنه جعل من أكبر ملحداً وزنديقاً، ولكن الحقيقة أن الخلافات الطائفية بين الشيعة والسنة وبثّ العصبية ضد الشيعة على يدي الشيخين الزعيمين الشيخ عبد النبي ومخدوم الملك بلغت ذروتها، حيث قتل وشرد خلق كثير من الطائفة الشيعية.

وبدايوني المؤرخ السني ينقل لنا في كتابه منتخب التواريخ حوادث عديدة أدّت إلى مصرع كثير من الشيعة بتهمة الرفض. وأكبر خدمة أسداها فيضي وأخوه للمسلمين و(لأكبر) هي أنهما أصلحا فيه الفكرة الوضيعة المعادية للشيعة وللطوائف الغير السنية، وصنعوا من الرجل الجاف المتعصب رجلاً سمحاً معتدلاً محباً للناس، وأعتقوه من ربقة العصبية التي كانت تقوده ـ والمشايخ المتعصبين المترمتين ـ نحو الهاوية. ويمكن أكبر أن يؤسس حكومته على أساس من المساواة والحرية، وأن تتمتع في ظل دولته جميع الطوائف والأديان بأداء فرائضها وطقوسها الدينية بحرية كاملة كما كان في صدر الإسلام. لكن من المؤسف ـ لأعمال العنف والمؤامرات والدسائس التي كانت تحاك من قبل حاشيته البلاط، جعلته يضطر أن يتجاوز الحد المعروف، وأن ينحو منحى المتطرف الغالي في محاباته للمهادنة. حيث أخذ يتظاهر حتى بعبادة النار والشمس.

وخصوم فيضي ينسبون كل هذه الانحرافات التي بدرت من أكبر إلى فيضي لتساهله وغضّ عينيه عن أعمال (أكبر)، ولكن يشهد له التاريخ خلاف هذا الادعاء الموهوم.

إنه لم يكن ليرضى لنفسه في أية لحظة من حياته الرسمية أن يتوانى عن بذل المستحيل في سبيل تقويم (أكبر) إلى الصراط القويم لكي يقيم حدود الله.

وعلى خلاف ما يدعيه خصمه اللدود بدايوني من أنه لم يكن يمس أُصول الدين فحسب، بل كان على حرية أفكاره متمسكاً بالعقائد التقليدية حتى قالوا عنه إنه ينكر المعراج الروحي ويثبت العروج الجسماني، وتفسيره خير شاهد على ما نقول.

ج - [illegible] . شاعريته:

أما شاعرية فيضي فقد كانت (فطرية وذاتية)، لأن أسرته لم ترتبط بالشعر والشاعرية، ودراسته لم تكن منصبة على الشعر، ولكنه قرض الشعر باللغة الفارسيه منذ نعومة أظفاره، وكانت له تجربة أيضاً في النظم باللغة العربية، وتجد قصيدة مصطنعة ومتكلفة من شعره في مقدمة تفسيره مدحاً واطراءً لسواطع الألهام.

وفي اوانه كان يميل كثيراً إلى التصنع في الشعر. حيث يكثر من استعمال الألفاظ الفرسة في العربية وفي أشعاره باللغة الفارسية. ولكن كلما تزداد صحبته مع لأصحاب اللغة الفارسية كانت تصعو لغته وتتمايز بالخروج عن الكلفة والتصنع. وأن فيضي قد جرب نظم الشعر في جميع أنواع القصيدة كالغزل والمثنويات

ومن ميزات الفيضي في أسلوبه وتعبيره الشعري هي الجدة والحيويه لماتصه حيث ابتدأت وختمت[1] به

والميزه الثانية في شعر فيضي ميوله للاستعارات لغزله وقدرته على التشبيهات

والميزه الثالثة في شعره الغرور والادعاء

والميزة الرابعه أن قوافي غزلياته لم تكن مدبرة وهي بدو طبعه وكأنه نظمت بالبداهة من دون تصنّع قبلي ودلت على خلاف قاعده بعض الشعراء حيث يضعون هيكل الغزل وقوافيه ثم بعد ذلك يملأ الفراغ

إن فيضي كان متناسباً مع عمله ومسؤلياته، شغوفاً باقتناء الكتب حيث كانت له مكتبة تضم ٤٠٠٦ كتاب، معظمها بخط المؤلفين أو استنسخت على عهدهم، وكانت تضم كتب الطب والنجوم والموسيقي والفلسفة والرياضيات والفقه والحديث والتفسير و...

---

(١) شعر العجم: ٥٧/٣.

لقد كانت عواطفه نحو عائلته وأسرته جياشة، تملك أحاسيسه ومشاعره، حيث كان يكن لهم الحب الجم، ولا سيا نحو أمه.

وتقول المصادر إن أمه مرضت وهو في ركاب أكبر شاه عام ٩٩٧ هـ ق في مهمة في پيشاور، فلما وصل إليه نبأ مرض والدته ترك الملك والبلاط والموكب الهمايوني، وهرع نحو أمه المريضة، ولكنه لم يكد يصل إلى لاهور حتى نُعيت إليه والدته، ورثاها بقصيدة يفوح منها الحب والوفاء. وكذلك كان يكن لإخوته كل الاحترام، ويخاطب أخاه أبالفضل بالعلامي أو النواب، ويفتخر بأخيه وإن كان أصغر منه سناً باثنين أو ثلاثة أعوام

ويقول. وهو وإن كان يكبر أخاه أبا الفضل بسنتين أو بثلاث ولكن في الفضيلة بينهما بعد الثرى من الثريا

كان لفيضي صبي يحبه حباً كبيراً، وقد توفي الصبي فأثرت وفاته على الشيخ الفيضي، ورثاه بقصيدة رائعة.

[illegible]

بدا أمعنا النظر في ترجمة المؤلف والمواقف التي كان يتحداها معاندوه ومخالفوه من أرباب المذاهب والنحل الغير الشيعية، بغينا عن التطويل في البحث عن هذا الموضوع المسلّم به، حيث أننا ـ وبعد هذه الشواهد ـ لا نشك بأنه هو الذي أشاع التشيع في الهند، وقرّب بين المذاهب على يد أكبر، ولذلك قد حورب من قبل المتعصبين والمتزمتين حرباً شعواء أدت إلى شهادة أخيه الشيخ أبي الفضل، الذي كان يؤيده ويسانده.

ويكفينا شهادة الشهيد العالم القاضي نور الله الشوشتري[1]، الذي كرس

---

(١) وكان (نور الله) قد عين في منصب القضاء في مدينة لاهور وذلك على عهد جهانگير وتصدت له بعض النواصب وبعد أن خلعوا ملابسه اشبعوه ضرباً بالعصي ذات اشواك حتى تقطعت اوصاله وقطعوه ارباً ارباً واستشهد في سبيل عقيدته.

حياته للذب عن الشيعة والذود عن حماها. وكان هذا الرجل الشيعي صديقاً ومحباً لفيضي. فلنقرأ قليلاً من كثير مما كتبه عن تفسير سواطع الالهام وشهادته على ذلك:

وبعد، فقد تشرفت بلحاظ هذه الجلة الجميلة، فإذا هي ذكرٌ مباركٌ أنزله الله من سماء مواهبه الجليلة وتأمّلتُ ما حونه من المعاني النّادّرة وتضمّنَتْهُ من المحاسن المسترقفة للبارّة، فإذا هي فصل حطاب أتاهُ الله من فيض الطافه البارّة، ولقد خاض مبدعها لُجَّةً لم يسبقهُ أحدٌ إلى خوص غمرتها، ومهّد قاعدةً هو أبو عذرها، وهو شيخنا العارف الفاضل النحرير، ملك فضلاء الشعراء من لدنه سلطان نصير، صاحب المناصب العلية والمراتب السنية، والمناقب المشهورة والفضائل المأثورة، والأخلاق الزكية والسيّر المرضية، الذي قرن بين الكمالات النفسية والرياسات الانسية، وجمع مع التوغّل في نظم المصالح الدنيوية، مراعاة الدقائق العلمية، ينادي الملأ الأعلى على عُلوّ شأنه ويعترف بشموت أعلى سموّ مكانه، باسمه السامي وفصل فصله النّامي تباهي الأحساب والأنساب، وبذاته الملكية استغنى عن الإطراء في المدائح والألقاب، استغرقت سحائب فضاله على الطالبين، وداء غوص سواطع الهامه على المستفيضين يقوّم حمر الحمراء بما قاسى في تأليف هذا الكتاب المبين، ونظم ذي العقد الثمين، من عرق الجبين وكد اليمين، ولهذا دُعاءٌ بالإجابة قرين، فإنه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين، حرره عبده خادم الشريعة الشريعة النبوية ملازم الطريقة الرضيه المرتضويه، العبد المعيوب الذي سرده المشتري نور الله ابن شريف الحسيني المرعشي الشوشتري نور الله بالبر وحقق بلطفه آماله في شهور، سنة اثني والف هجريه في بلدة لاهور، رصينت في ظل واليها عن شوائب الفتور، حامدا مصليا مسلما.

وإذا مررت على التفسير مروراً بسيطا تجد فيه ما يرشدك على طلبتك، وأن ما فيه الكفاية على ولايته لآل البيت المعصومين عليهم السلام من ذلك:

١ ـ في تفسير الآية ٨١ من سورة النساء ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ محكمه ومأوله وما هو مآل مدلوله: .. الا لاعلام الرسول صلعم (والامام المعصوم).

٢ ـ سورة التوبة: وأرسل (أسد الله) وراءه لدرسها أهل الموسم، ولما ادركه

سأله مؤمر أو مأمور؟ ... واسعهم (أسد الله) ما أمر رسول الله صلعم.

٣ ـ سورة البراءة قوله تعالى ﴿اجعلتم سقاية الحاج﴾ رهط الأعداء ومَوردها ما ورد سرّ عمّ الرسول صلعم مع رهط، وسأله (اسد الله) ما لمّ هلالهم رسول الله .. سأله (أسد الله) او لكم صوالح الاملاء.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ (سورة الانسان ٧ ـ ٩﴾ لله وأداء أوامره، أرسله الله لمدح (أسد الله الكرّار)، وعرسه وكهداء لها لمّا علّ ولداها السمو؛ لصحّهما صوماً معدوداً لعدد رهط اعطوهم الطعام، وأعاد (أسد الله) مرء مما الهود أصرع طعام عددها كعددهم لما رامها، وصاموا وأعدوا لصومهم طعاماً ووردهم معسر لا مال له وأعطوه الطعام كله.

٥ ـ قوله تعالى ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾ صرح الله اسرارهم ومدحهم نعمه اسرارهم (لا نريد) للاحكام اسكم) جزاءً

٦ ـ وهده لأبناء العاطره تنادي بأعلى صوتها نشيعه وحمه وتعابيه في ذات آل البيت عليهم‌السلام

وصی نبیّ آنکه از صلب فطرتش	شاه اولوا العزم توأم نشیند
امامی که روز وفات پیمبر	خلاف گذارد عمامه نشیند
گرهم معاند دربر تنگ میدان	بر اشهب حرامد برادهم نشیند
کجا رتبهٔ کعبه یا بد سفیهی	که فردا سقعر جهنم نشیند
جهان پر شد از فتنه یا شاه مردان	تو برخیز کاشوب عالم نشیند

والبكوا ترجمتها:

وصيّ النبي في صلب فطرته

جليس سيد انبياء أولي العزم

إن الإمام الذي يوم ارتحال الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله

ترك الخلافة وشمّر للعزاء. (اشاره إلى انشغال امير المؤمنين عليه‌السلام بتغسيل النبي

وكفنه ودفنه ولم يذهب إلى السقيفة ليرى مصير الخلافة).

حتى لو أن المشاكس في هذا الميدان الضيق المحدَّد

زَفَّل على الأشهب وارتقى صهوة الادهم

من أين للسفيه حين يغدو في الهاوية أن ينال رتبة البيت العتيق.

يا سيد الاسياد ويا مليك الرحال قد طغى على الزمان الفساد، فقم كي تنام الفتنة في العالم

٧ ـ وقد ذكر مولوي سيد غلام حسين طباطبائي في مقدمة كتاب سير المتأخرين ما نصه:

«في العهد الثالث من تتويج أكبر شاه أحمد فولاد أكبر شاه واسمه (فولاد برلاس) الذي كان عادى الملا أحمد التهتهي بسبب تشيعه ومعاداته للمذهب السني عزم على إخراج الملا أحمد من بيته ليلاً وقتله. وبعد دفن الملا أحمد دخلت أن ينبش المتعصبون قبره عين الشيخ أبو الفيض والشيخ أبو الفضل حرساً على قبره. ولكن بعد ما ذهب أكبر شاه إلى كشمير أخرجوه من قبره واحرقوا جثته.

٨ ـ كذلك نص على تشيعه العلامة مؤلف الذريعة، و(دهخدا)، ومؤلف أعيان الشيعة حيث يقول

«وإن الشيخ أبا الفضل وأخاه المترجم وأباه كانوا على مذهب الشيعة (أعيان الشيعة ج ٩)».

٩ ـ ومن دلائل تشيعهم أنهم كانوا يحاربون من المتعصبين من علماء السنة مثل مخدوم الملك والشيخ عبدالنبي الذي كان له مركز الصدارة في اول حكم أكبر شاه

لقد ذهب الفيض مع أبيه إلى الشيخ عبد النبي ليطلبوا منه مدداً لمعاشهم،

ولكن الشيخ رفض أن يقدم لهم شيئاً لأنهم يقومون بإشاعة مذهب التشيع[1].

[illegible]:

قال مير غلام علي آزاد في (سبحة المرجان) إن مدفن أبي الفيض يقع في اگره، تحت قدم والده الشيخ مبارك، وهذا القول غير صحيح، لأن الذي لا شك فيه أن قبر والده في (لاهور) كما صرح بذلك فيضي وأبو الفضل وعبد القادر بدايوني. فعليه إذا كان مدفن فيض أسفل قبر والده الشيخ مبارك لابد أن يكون ذلك في لاهور[2].

إن أرباب التراجم يذكرون أن صاحب الترجمة قد ألف ۱۰۱ كتاباً وقد فقد معظمه. ونحن نذكر من آثاره الموجودة في المكتبات العالمية:

١ ـ خمسه فيضي. على نسق (خمسة نظامي)، وقد قسمها إلى خمس كتب

١ ـ مركز أدوار. وأكثر ذلك يدور حول أفلاطون. في ١٤٦٢ بيتاً معارضة لمخزن الأسرار. وفيه ٣٠٠٠ بيت. وسماه أكبر نامه علوي

٢ ـ سليمان وبلقيس. وقد نظم قسماً منه في لاهور معارضة لخسرو وشيرين

٣ ـ نل مع دمن ـ نلدمن. في ٤٠٠٠ بيت، ربما كان تقليد لقصته ليلى ومجنون

٤ ـ هفت كشور (الأقاليم السبعة)، وعلى وزن (هفت پيكر) ٥٠٠٠ بيت

٥ ـ أكبر نامه.

---

(١) شعر العجم شبلي نعماني ٣٤/٣ بدايوني ص ١٩٨ واكبر نامه أبي الفضل حوادث عام ٩٧٤ هـ.ق.

(٢) آگرا، اگره، أكبر آباد سابقاً غرب أوتاربراوش في الهند على نهر جمنا كانت عاصمة أباطرة المغول الهند. وتاج محل تقع في هذه المدينة (دائرة المعارف مصاحب).

ومن الموجود من هذه الكتب الخمسة المذكورة ـ التي تمّ نظمها من المثنوي ـ (ملدمن) و(مركز ادوار)، ومركز ادوار رتّبه أخوه الشيخ أبو الفضل بعد موت أخيه.

وفي العقد الثالث من تتويج أكبر على العرش أنهى الفيضي من تصميم نظم (الخمسة)، وشرع بمركز ادوار، وفي نفس الوقت كان ينظم في الأربعة الأخر، ولكن لفخامة العمل لم يتمكن من إكمالها. ولما حلّ عام (١٠٠٢ هـ) السنة ٣٩ من تتويج أكبر أصر على أن يكمل الخمسة، وأتم نلدمن، لأن قصة نلدمن مأخوذة من القصص السنسكريتية والقصص الشعبية الهندوكية. وكان أكبر يميل إليها ميلا خاصاً، فأتمّها في مدة أربعة أشهر في أربعة آلاف بيت. يقول

ين چهار هزار گوهر ناب كانكحندام به تشين آب

وحتى معاونوه وأعداؤه اثنوا على هذا المثنوي، وهذا عبد القادر البدايوني يقول لم يتمكن لأحد منذ ٣٠٠ سنة أن ينظم مثل ما نظم أبو الفيض

٢ ـ موارد الكلم لما رام أن يفسّر القرآن بالحروف غير المعجمة شرع في تأليف هذا الكتاب للتمرين على كتابة التفسير، ومهّد الأرضية الفنية لعمل التفسير. وقد طبع هذا الكتاب في كلكتا، ويظهر أنه ألفه عام (٩٨٥ هـ ق).

٣ ـ سواطع الالهام: أي التفسير الغير المنقوط الذي بين يدي القارئ الكريم، وقد شرع فيه عام ٩٩٩ هـ أول محرم الحرام وأتم ذلك في (١٠٠٢ هـ ق) أي في سنتين ونصف سنة

ان المؤلف يعتز كثيراً بهذا المجهود الكبير الذي بذله في تفسير كلام الله تعالى، يقول في إحدى رسالاته إلى أصدقائه إن هذا التفسير تمّ في العاشر من ربيع الثاني عام ١٠٠٢، وهذه من المنح الغيبية الالهية التي منّ بها على هذا الفقير، وغرائبه أكثر من أن تحصى فإنه قد حيّر ألباب أهل هذا الفن.

وقد جاء في مقدمة التفسير أنه قدم أوائله إلى ولده، فبعد أن اطلع عليه سرّ كثيراً لعمل ولده، وأصلح له بعض سقطاته، ولمّا تم السُّدس من التفسير أرسل الفيضي في سفارة إلى دكن لاطفاء نيران الفتن التي أثيرت هناك، وطالت مأموريته

أكثر من سنة.

وفي نفس الوقت مات والده الشيخ مبارك وحصلت وقفةٌ في كتابة التفسير استمرت مدة سنة واحدة. وفي بداية العام التالي شرع به وأتمه في نفس العام.

وقد كتب العلماء والفضلاء تقاريظ جيدة على هذا التفسير وأخذوا يثنون عليه وعلى مؤلفه. مثل: القاضي نور الله الشوشتري، أحمد بن مصطفى الشريف الحسيني، الشيخ حيدر رفيعي الطباطبائي، المولى السيد محمد عالم علي السيد أبو المحسن المودودي الشهير بخادم علي عبدالعزيز بن عبدالعزيز الجمال، محمد حسني المشهور بالشامي، وظهيري الشاعر و.

وأرّخ ملا حيدر الكاشاني اختتام التفسير جملة ﴿قل هو الله﴾ أي عام ١٠٠٢ هـ.

وأرّخ آخر ﴿لا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ في تاريخ الاختتام.

وإن كان خصومه أخذوا عليه (هذا العمل) باعتباره بدعة، ولكن ردّ عليهم فيضي بقوله إن عدم النقط لا يضر بمتنه شيء، فإن (كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله) غير منقوطة.

ويجب هنا نعلم بأن الطوسي ذكر في مقدمة تفسيره مجمع البيان بأن تفسير (الحمراوي) غير منقوط فعليه لا يكون هذا أول عمل من مثله. وكذلك وجدنا كتاباً في أصول الفقه بحروف غير معجمة.

وسنتحدث حول هذا التفسير في بحث مستقل من هذه المقدمة.

٤ ـ منشآت (انشاي) فيضي: إن تلميذه وابن أخته، نور الدين محمد عبدالله بن حكيم عين الملك ـ الايراني الأصل والهندي المولد ـ جمع مكاتيب خاله ومخطوطاته ورتّبها في مجموعة وسمّاها (لطيفة فيضي). والمكاتيب كلها من النثر الفني المصنوع لإبراز براعة الكاتب وعبقرته في الكتابة. ويجب أن نعرف أن أول من ابتداء الكتابة الغير المصنوعة ولم ينافسه أحد هو الفيضي. وتبدو من فقرات كتابات فيضي الحضارة الاجتماعية والعلمية والسياسية والتقاليد والآداب في عصره.

٥ ـ الديوان: الغزل، يقع في ٩٠٠٠ بيت، وقال في مقدمته: إنه يحتوي على الغث والسمين، واعتذر من ذلك، وسمى ديوانه (طباشير الصبح)، ويظهر من رسالة كتبها إلى أحد أصدقاءه أنه حينما رتّب الديوان كان قد بلغ من العمر الاربعين، ويظهر أيضاً أنه لم تنته أشعاره بل لديه ديوان آخر يعده ويرتبه.

وقد ذكر مؤلف الذريعة أنه رتب الديوان بنفسه، وجعل له ديباجة في أحوال نفسه بعثه إلى ايران ليشتهر به.

ويقول أيضاً إن أخاه أبو الفضل العلامي جمع أشعاره ورتّب ديوانه في عام ١٠٠٦، ولا منافات بين الكلامين.

٦ ـ قصائده: قصائد قليله في الحمد والنسيح، المدح، الفخر، التصوف، الاخلاق، و... وبعض القصائد تضم مئات من الأبيات، ويختلف سبكه في القصيدة عن أسلوب معاصريه ويظهر من كلامه أن مجموع أشعاره يبلغ ٠٠٠ بيت

٧ ـ تذكرة: ابتدأها تراجم الشعراء ولكن لم يعثر عليها، فإنه كتب إلى أحد أصدقائه يرجو منه أن يأتي إليه بكتابة مقاصد الشعراء (حيث أنه ذكره سوف على رؤيته الكتاب تستفيد منها في مقدمة كتابه)

٨ ـ مهابارت: إن أكبر شاه في عام ٩٩٠ أصدر أوامره بترجمة كتاب مهابارت (من أمهات الكتب الاساطيرية الهندية)

واجتمع لذلك كبار علماء الهند وكان أكبر شاه يقرر المطلب إلى نقيب خان وهو ينقلها إلى اللغة الفارسية ثم دعاه لنسخ عبدالقادر بدايوني، الملا شيرى وغيره وأوكل لكل قسماً من الكتاب وأوكل قسمين أو (فنّان) من الكتاب إلى فيضي. (بدايوني وقايع ٩٩٠ هـ ق).

٩ ـ اتهرون بيد (ح ل اتهربن) أحد كتب (بيدا) من الكتب الدينية الهندية حيث نسب ترجمته إلى الفيضي، ولكن يظهر أن عبدالقادر بدايوني هو الذي كان ينقل إلى الفارسية عن طريق رجل اسمه (بهاون)، وبعد ذلك وُكّل إلى فيضي، ومن بعد فيضي أوكل إلى ابراهيم سرهندي ثم نظمها مسيحاى پانى پتى.

٩ ـ رامايانا: (أو رامايانه) = قصة راما. منظومة حماسة هندية باللغة السنسكريتية من القرن الثالث قبل الميلاد. فإن رامايانا قد ترجم إلى أكثر اللغات المحلية الهندية، وتحت عنوان (وظيفة الفيضي) ترجمها إلى اللغة الفارسية وطبع في لكهنو. (دائرة المعارف مصاحب، رامايان).

١٠ ـ ليلاوتي: كتاب في علم الرياضة والمساحات من أهم آثار (بهاسكر) وقد ترجم الكتاب بأمر من أكبر شاه عام ١٥٨٧م إلى الفارسية على يد الفيضي، وقد ذكر في مقدمة الكتاب الباعث على تأليف الكتاب على يد المؤلف. والكتاب يشبه بالأساطير (رك دائرة المعارف مصاحب مادة ليلاوتي).

هذا ما تيسر لنا من ترجمة العلامة الفيضي من شتّى المصادر المعتمدة

• • منهجية التحقيق

سرنا في تصحيح الكتاب على طريقتنا المثلى طريقة علمائنا المتقدمين، من المحافظة على الأصول والترجيح بينها إذا اختلفت، أو التوقف إذا لم نجد دليلاً يرجح، أو كانت النسخ متفقة على الخطأ، إلا أن يكون الصواب ظاهراً لا مرية فيه فنثبته حرصاً على الأمانة في النقل. فرب كلمة يجزم المصحح بغلطها تكون صحيحة في نفسها ولها وجه حق عليه يعرفه غيره، واجتهدنا في الرجوع إلى نصوص لمعة إن عرفناها، وإلا قابلناها على أكثر الذي ما وجدنا من النسخ.

نسخ التفسير (سواطع الالهام) التي اعتمدنا في تصحيح الكتاب عنها ثلاث، وفسرنا كل واحد منها بحروف، وهي: نسخة المشهد الرضوي (آستان قدس) بـ (ق).

النسخة التي موجودة في جامعة اصفهان بـ (ص).

ونسخة المجلس الشورى بـ (م).

فقررنا بادئ الأمر أن نقوم بمقابلة النسخ الثلاث متزامنين، ونجعل المعيار والملاك أصحها وأتقنها. وبعد أن مضينا شطراً كبيراً في المقابلة وبذلنا مجهودا ضخماً

في ذلك من حيث اللغة والعمل غير متداولين، وأثبتنا اختلاف النسخ في الهامش، لاحظنا أن في نسخة (م) أخطاءً كثيرة وليس فيها جدوى غير ضياع الوقت وتكديس الهامش بالإشارة إلى الأخطاء، ولا سيما أننا عزمنا على طبع التفسير القيم للعلامة السيد عبدالله الشبّر في ذيل (السواطع).

فعدلنا عن ذلك إلى أن نكتفي بمقابلة نسخة (ص) ونسخة (ق)، وكذلك بعد أن تقدمنا أشواطاً كثيرة في المقابلة، وجدنا أن في نسخة (ق) أخطاء معدودة كانت في نسخة (ص) صحيحة وبالعكس، يعني كانت الكلمة في (ص) خطأ وفي (ق) صحيحة.

وفي بعض الحالات كان المثبت الصحيح متعيناً من مثل عدم ثبت أسماء السور في نسخة (ق) وثبتها في نسخة (ص).

ومع ذلك لا بأس أن نشير إلى مقايسة بين النسختين بذكر موارد الاختلاف، من مثل (سوداء) في (ص) كتبت (سوداء) أو إضافة (و) أو (ص وسلم) أو (ع) أو عليه السلام)، وحينما كانت بين النسختين خلاف جوهري نحو (الكلام) و(الكمال)، فأشرنا الذي يليق بالسياق.

وخلاصة القول بعد السبر والتقسيم يجب أن نشير إلى أن نسخة (ص) من حيث المجموع أجود من نسخة (ق).

ولا أستطيع أن أضع القلم قبل أن أشكر العالم الفاضل حجة الإسلام السيد محمد علي بحر العلوم الثقة الثبت ابن الأخت، فقد أعاننا في رفع كثير من مشكلات الكتاب.

وكذلك حجة الإسلام الشيخ مهدي الأنصاري ـ مدير مؤسسة البعثة ـ حيث يسّر لنا أن نطلع على نسخة أخرى من التفسير.

وكذلك أقدم خالص دعائي لابنائي الأعزاء الفضلاء السيد الدكتور جودوي وحرمه السيدة الدكتورة ساروق خريجي قسم علوم القرآن والحديث من كلية الالهيات والمعارف الإسلامية بجامعة طهران، وكذلك البارع المفضال السيد محمد

على رضائي المعيد بجامعة مشهد في علوم القرآن والحديث، فقد أعانوني في المقابلة وتبييض الكتاب وبذلوا جهداً مشكوراً في إخراج هذا المشروع الإسلامي الضخم في خدمة الإسلام واللغة العربية وإحياء أثر قيم في حقل الدراسات القرآنية في ثوبه القشيب، مع التفسير القيم للسيد الإمام عبدالله الشُبَّر.

وكذلك أقدم خالص شكري ودعائي إلى الأعزة الفضلاء في مؤسسة المنار للطباعة والنشر في تحريهم الدقة والعناية الفائقة في صف وإخراج الكتاب.



وفي الختام:

نشكر الله تعالى عز شأنه أن مَنَّ علينا بفضله وأسبغ علينا بنعمه أن كَلَّل هذا المجهود العظيم الذي استغرق أربع سنوات بنجاح وأسعدنا لانجازه.

ونبتهل إلى الله الملك العلاّم أن يقبله منا بقبول حسن ويجعله لنا ولآبائنا وأُمهاتنا وإخواننا وأساتذتنا ذخراً وعملاً صالحاً يوم الحساب؛ آمين يا ربّ العالمين.

والصلاة والسلام على محمد صلّى الله عليه وآله الطاهرين أفضل الصلوات الزاكيات ولا سيا الإمام المنتظر (عج).

الراجي عفو ربه: الدكتور سيد مرتضى آيت الله زاده شيرازي

استاذ علوم القرآن والحديث والأدب العربي ورئيس

قسم اللغة العربية بكلية الالهيات

والمعارف الاسلامية بجامعة طهران

١٤١٧ هـ ق ١٣٧٥ هـ ش.



الصفحة الاولى من النسخة الخطية في مكتبة المشهد الرضوي

[illegible]

٢٥٠١

[illegible]

٢٥٠٢

[illegible]

٢٥٠٣

[illegible]

الصفحة الاخيرة من النسخة الحجرية المطبوعة